جامعة الدكتور الطاهر مولاي –سعيدة–

كلية: الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي.

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص لسانيات عامة الموسومة بـ:

اللغة العربية ومسألة التأويل في القرآن الكريم

"ابن عربي نموذجا"

إشـــراف الدكتور:

– كريم بن سعيد.

من إعداد الطالبة:

–.شريط فاطمة.

لجنة المناقشة

الأستاذ.....زحاف الجيلالي... .....رئيسا

الأستاذ.....معمر زروقي.....مناقشا

الأستاذ..... كريم بن سعيد.....مشرفا و مقررا

السنة الجامعية :1438–1439هـ/ 2017– 2018م

كلمة شكر وعرفان

نشكر الله عز وجل على نعمة العلم ونحمده كثيرا على إنجاز هذا العمل ، وأنا على أهبة إنهاء المشوار الجامعي لي الشرف الكبير أن أزج تحياتي العرفان والتقدير لمن ساعدني من قريب أو بعيد في سقي هذه الثمرة وأشرف على نضجها وفي تدليل ما واجهته من صعوبات.

أتقدم بالشكر الجزيل إلى: الأستاذ المشرف كريم بن سعيد الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لي.

إهداء

بدأنا بأكثر من يد وقاسينا أكثر من هم وعانينا الكثير من الصعوبات وها نحن اليوم والحمد لله نطوي سهر الليالي وتعب الأيام وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع إلى:

*إلى الوالدين أطال الله في عمرهما بوعمامة ، وتناح رقية فلولا هما لما وجدت في هذه الحياة ومنهما تعلمت الصمود مهما كانت الصعوبات.

*إلى أساتذتي الكرام فمنهم استقيت الحروف، وتعلمت كيف أنطق الكلمات وأصوغ العبارات وأحتكم إلى القواعد.

*إلى أحلى تحفة تزين حياتي إلى أخي العزيز والغالي محمد أطال الله في عمره.

*إلى جذور الوفاء وأغصان الطيبة إخوتي وسيلة، سامية، والكتكوت نجم الدين، خولة وزوجها عمر عثماني.

*إلى صديقاتي العزيزات سكينة، خديجة، فاطيمة، أمال، لمياء، أمينة.

* إلى صديقتي التي أود أن أشكرها من أعماق فؤادي لوجودها بجانبي فلكي كل الشكر والعرفان على ما قدمتيه وعلى مساعدتك عمرية بن يحي

*إلى من نسيهم القلم سهوا

فاطمة

الحمد لله، الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان ثم الصَّلاة والسَّلام على البشير النذير سيدنا محمد، أما بعد:

يُعد القرآن الكريم كلام الله المعجز، للخلق في أسلوبه ونظمه وفي علومه وحكمه وفي تأثير هدايته، وفي كشف الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلية، وفي كل باب من هذه الأبواب للإعجاز فصول وفي كل فصل منها فروع ترجع إلى أصول.

ولا سبيل إلى فهم حياة الأمة إلا بدرس كتابها ودرس لغتها التي عاشت فيه، ولسنا نعرف درسا لغويا أصيلاً وعميقًا من درس يصل بين اللغة العربية والقرآن ، فسره كامنٌ في بلاغته التي لا تنتهي معانيها انطلقنا منه وآلت إليه ما كُتِبَ لها السمو.

لذا اشتغل علماء اللغة بدراسة القرآن الكريم وقراءاته من حيث التوظيف والتوجيه، والتفسير والتأويل، تطرق الدارسون لهذه الدراسة مخصوصة وإنما كان القاسم المشترك فيها هو تفسير كتاب الله تعالى، وإدراك معانيه، حيث تعددت الدراسات اللغوية من جانب لآخر نذكر منها: الإعجاز في نظم القرآن، والتأويل اللغوي لدى علماء اللغة، وما دفعنا إلى هذه الدراسة، هو محاولة الكشف عن حقيقة بعض المسائل اللغوية في القرآن الكريم والتي تبدوا في ظاهرها مخالفة للمقيس من كلام العرب، ومنه جاء عنوان مذكرتنا اللغةُ العربيةُ ومسألةُ التأويلِ في القرآن الكريم.

إضافة إلى محاولة الكشف عن منهج التأويل لدى الشيخ الأكبر في عرض مسائل اللغوية والنحوية على اختلافها وكيفية التعامل مع هذه المادة المتنوعة بأويلاته فحاولنا مقاربة الإشكالية التالية، ما هو أثر الإعجاز القرآني في الدراسات البلاغية؟ ما هي أهم القضايا التي عالجتها مسألة التأويل؟ ما السبب الذي أدى العلماء لمسألة التأويل بالرغم من وجود التفسير؟ ما موقف ابن عربي من التأويل؟ وما هي أهم الدراسات التي عالجت قضية التأويل عند ابن عربي؟

وقد أفضت بنا قراءتنا الأولى إلى تقسيم بحثنا هذا إلى مقدمة يليها مدخل شئنا أن ندمج فيه (اللغة العربية، البلاغة، التأويل، الإعجاز القرآني) وهذا باعتبار مسألة التأويل الركن الأساسي.

أتبعت مدخلنا بأربعة فصول يندرج تحت كل فصل مجموعة من النقاط ففي الفصل الأول تحدثت عن إرهاصات البلاغة العربية باعتبار أن البلاغة العربية جزء من اللغة العربية وقسمت ذلك إلى ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول خصصته التعريف اللغوي والاصطلاحي للبلاغة، والمبحث الثاني تطرقنا فيها إلى نشأتها من العصر الجاهلي إلى الأموي وذكر أهم الطوائف التي شاركت في نشأتها، والمبحث الثالث ذكر مراحل تطورها مع تطرقنا لأهم الجهود المبذولة في تطورها من خلال العلماء.

أما الفصل الثاني فتناولنا في آثار قضية الإعجاز القرآني في الدراسات البلاغية، وقسمت ذلك إلى ثلاثة مباحث فالمبحث الأول عرفنا فيه الإعجاز القرآني لغة واصطلاحا، والمبحث القاني تناولنا فيه مظاهر الإعجاز في نظم القرآن الكريم والمبحث الثالث أدرجنا فيه آثار الإعجاز في الدراسات البلاغية وركزنا فيها على أهم العلماء الذين كانت لهم اسهامات في توظيف البلاغة العربية واعتمادها على المصدر القرآني

أما الفصل الثالث فتحدثنا عن التأويل في النص القرآني وخصَّصنا فيه خمسة مباحث فالمبحث الأول أدرجنا فيه ماهية التأويل في الجانب القرآني ومفهومها اللغوي والاصطلاحي، والمبحث الثاني تطرقنا فيه إلى أقسام التأويل وبعض الأمثلة فيه، والمبحث الثالث ناقشنا فيه أشكال التأويل في النص القرآني ، المبحث الرابع وفيه وقفنا على أهم عنصر في الفصل وهو الفرق بين التفسير والتأويل وأما المبحث الخامس أدرجنا فيه التأويل اللغوي والنحوي الذي يعد جزء منه.

أمَّا الفصل الرابع فعنوناه بموقف ابن عربي من التأويل القرآني (نموذج)

وتطرقت فيه بثلاثة مباحث، المبحث الأول السيرة الذاتية لابن عربي والمبحث الثاني دراسات ابن عربي وما قيل عنه في مسألة التأويل القرآني والمبحث الثالث تأويل وسائل البلاغية عند ابن عربي، وحاولت من خلاله دراسة التأويل استنادا لما ذكره ابن عربي وأرفقنا ذلك أراء لمجموعة من العلماء على اختلافهم التأويلي.

وختمت بحثنا هذا بخاتمة كانت بمثابة الحوصلة النهائية لأهم النتائج المتوصل إليها.

وقد اقتضت معالجة هذا الموضوع تبني منهجين معينين، المنهج الوصفي والمنهج الاستقرائي فالمنهج الأول وصفت فيه مراحل التطور والنشأة كما تناولنا العلماء، والثاني حاولت التعرف على جزئيات بعض الوسائل وتجميع مالها من بيانات وأقوال للوصول إلى مبدأ صحيح وكذا تتبعت فيه أراء العلماء التي قيلت في موقف العلماء من ابن عربي في مسألة التأويل.

لكن مع ذلك واجهت بعض العقبات في الحصول على بعض المراجع خاصة فيما يتعلق بالجانب التطبيقي في البحث عن المراجع التي درست التأويل عند الشيخ الأكبر محي الدين فكنت أضيع الكثير من الوقت والسبب في ذلك كثرة الأقوال والدراسات واختلافها.

فكنَّا في حاجة إلى أهم المصادر والمراجع التي قاربت هذا النَّهج ومن أهمها:

الجاحظ البيان والتبيين، وكذا كتاب عبد المعطى عرفة تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطورها، إضافة إلى المعاجم العربية منها: مقاييس اللغة لأحمد فارس، وقاموس محيط لفيروز الآبادي، أما من جهة دراستنا للإعجاز القرآني اعتمدنا كتاب قضية الإعجاز القرآني وأثرها لتدوين البلاغة العربية لعبد العزيز عبد المعطي عرفة، والبيان في إعجاز القرآن لصلاح الخالدي، وإعجاز القرآن فضل حسين عباس، أما الجانب التطبيقي فاعتمدنا على كتاب فلسفة التأويل لنصر حامد أو زيد وأهم كتبه وشرحه لأهم الدراسات التي جاء بها ابن عربي في مسألة التأويل.

أُشيد بشكري وعرفاني للأستاذ كريم بن سعيد فقد كان سندًا مُعينا ومددا لا ينضب فجاءت توجيهاته وتصويباته سلسة لا يشوبها صعوبة ولا تكلف.

لقد اتصل الدين باللغة، اتصالاً وثيقا في العصور الأولى، وكان الباعث هو اهتمام بالغ من ثلة راسية من علماء اللغة الأفذاذ الذين كرسوا، جهودهم وأفنوا أعمارهم في جمع الشواهد اللغوية وتقييد القواعد النحوية والصرفية بحفظ القرآن الكريم من اللحن، لأن ظهور اللحن كان مرتبطًا بالانقلاب الذي أحدثه الإسلام في كيان المجتمع العربي، وما نتج عن ذلك من اختلاط الأمم التي رضيت بالإسلام دينا.

قال ابن الأثير:" كان اللسان العربي صحيحا محروسا لا بتداخله الخلل ولا يتطرق إليه الزلل، إلى أن فتحت الأمصار فخالط العرب غير جنسهم..... فاختلفت الفرق وامتزجت الألسن".[1]

لذا كانت هذه الغيرة المفرطة على النص القرآني المحكم هي السبب في تم يتن عرا اللغة، وترسيخ أصول الملكة التي تضمن فصاحة اللسان وبلاغة البيان،وقد حازت اللغة العربية شرف إنزال القرآن بلسانها **لقوله تعالى:" لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ"** [2]

وورد في سياق التمدح والثناء على الكتاب، بأنه مبين لم يتضمن لبسا، وقد عنى به السلف علما بأن اعتناء الأولين باللغة العربية كان إيقانا بأن دراستها والتأليف فيها ضرب من ضروب العباد.[3] يتقربون به إلى الله تعالى.

إنَّ اللغة العربية لها اتصال وثيق بالقرآن الكريم، حيث أبلى الدكتور مصطفى صادق الرافعي حين قال:" إن هذه العربية لغة الدين قائم على أصل خالد، هو القرآن الكريم وقد أجمع الأولون والآخرون على إعجازه لفصاحته إلا من حفل من زنديق يتجاهل أو جاهل يتزندق".[4]

---

[1] ينظر: ابن الأثير مجد الدين، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الصناجي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ص:20.

[2] سورة فصلت، الآية42.

[3] مبروك زيد الخير، **اللغة العربية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية**، ط1، 1436هـ/2015م، مجلة المقاصد والدراسات القرآنية، دار الكفاية، ص، ص: 6.5.

[4] مصطفى صادق الرافعي ، **تحت القرآن**، ط1، 1983م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص:18.

ثمة ارتباط وثيق بين القران و اللغة العربية ارتباط على أساس متين وعلاقة بين منح و تجدد مستمر من قبل القران الكريم للغة العربية.

من الأحكام التشريعية والآيات الفقهية الرائدة فما كان معجزا للبشر في سُمُوّه ورفعته ودالته رغم أنها ظهرت في جاهلية جهلاء برزت على فترة من الرسل. إلا أنها كانت في قمة التناسق في أوج الواقعية والعمق.[1]

ومنه نستخلص أن القرآن في ارتقاء اللغة العربية وخلودها وكان سببا في تقنين اللغة العربية من كل جوانبها. وأنه جعلها لغة عالمية تنطق بها الأمم على اختلاف مشاربها.

ومن الطبيعي أن يكون القرآن، وحامله الناطق عن وحي لا هوى، في أوج البلاغة وأقصى آماد الفصاحة، ذلك أنه ربا في بني سعد نشأ في مكة، وكان جدوده أفصح العرب قاطبة فإرتضع أفاويق البيان فكان يتصرف في كلامه السهل الممتنع بما لا يستطيعه فصيح ولا يتأتى لبليغ بحيث لا يستنكره في بيانه معنى، ولا نيد في لسانه لفظ لا تغيب عنه لغة، ولا تتعثر له عبارة، ولا ينقطع له نظم، ولا يشوب كلامه تكلف ولا تعسف ولا تأرجح. بل إنه كلامه كله كان خالصا لا شبيه فيه، إذ لو بدر منه خطأ، أو اعترى كلامه لحن، أو خالط بيانه سوء تركيب لكان ذلك سببا في رد دعوته. والتطاول على رسالته. وإنكار صدقيه قرآنه. والقضاء على رسالته قضاء مبرما، لا تقوم لها بعده قائمة على مدى الزمان خاصة وأن العرب الخلص الأقحاح.

لا يستجيبون إلا لمن سبقهم في البيان، وبذَّهم في تصاريف اللِّسان، فكان النبي صلى الله عليه وسلم الناقل للقرآن يخف. أفصح الناس لسانا. وأظهرهم بيانا وأعلاهم بلاغة وأرقاهم ديباجة. وأحسنهم أداء.[2]

[1] ينظر، مبروك زيد الخير، **اللغة العربية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية**، مجلة المقاصد والدراسات القرآنية، ط1، 2015م، جامعة أحمد بن بلة، وهران، دار الكفاية، ص:7.

[2] ينظر، الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط1، 2000، دار الكتب العلمية، بيروت، ص:197.

نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي نقل إلينا القرآن بحق وبأ بلغ الفصاحة وأجود معانيه، وأدقهم تعبيرا وأسلمهم عن الخطأ واللحن والتعثر ليكون في مستوى نقل ذلك الكتاب الإفصاحي المقدس الذي لا نظير له في التاريخ الإنساني قاطبة.

ولقد انطلقت الدراسات والتصانيف العلمية المبنية، من تلك المبادرات الأولى التي انبرى لها ثلة من الأولين وحمل عبئها وتطويرها ثلة من الآخرين. لتربية النظريات والقواعد التي تضبط العلوم وتعظم الألسنة والأقلام من الخطأ.[1]

ومن هنا نرى أن الجهود في بناء الثقافة الإسلامية انطلقت من نقطة العناية بالقرآن الكريم إلى تعمق العلماء لضبط النص القرآني ومنه إلى مختلف العلوم اللغوية والبلاغية.

اتصلت اللغة العربية بميادين الفكر المختلفة وشاعت في البيئات الإسلامية وكان لها صداها القوي في كثير من الدراسات. ومعظم هذه الدراسات يدور أو يعتمد على ألفاظها. وبما أن اللغة العربية لغة القرآن الكريم سيظل هذا القرآن شامخا وإعجازه عظيما باقيا إلى اليوم الدين فلقد اشتهر العرب قبل الإسلام بالفصاحة والبلاغة لدرجة عظيمة، حيث كانت الأسواق تقام، ويتبارى فيها الفصحاء والبلغاء والأدباء والشعراء كل يُدلي بدلوه إما بالشعر، وإما بالخطب وإما بالنصائح وإما بالحكم والأمثال.[2]

ومن أجل ذلك جاء القرآن الكريم بفصاحته وبلاغته متحديًا لهم على لسان رسوله الكريم، ونبي أمي لا يقرأ ولا يكتب فتحداهم جميعا أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، وسيظل القرآن متحديا لهم إلى يوم الدين يحمل بين سطوره برهان كماله وآية إعجازه يقول تعالى:" نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين"[3].

[1] المرجع نفسه الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص:198.

[2] محمد حسين سلامة، **الاعجاز البلاغي في القران الكريم**، ط1، 2002، الشركة الدولية، ص: 10

[3] سورة الشعراء، الآيتين193.195.

هذا وقد جاء التَّحَدي والإعجاز البلاغي في القرآن الكريم في موضوعات كثيرة أذكر منها على سبيل المثال لا للحصر:[1]

أولا:

قوله سبحانه وتعالى:"قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا "[2]

ثانيا:

قوله سبحانه وتعالى: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ "[3]

ثالثا:

قوله سبحانه وتعالى : " أَمْ يَقُولُونَ اِفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اِسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"[4].

قال تعالى ردا عليهم: " قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ غَفُورًا رَحِيمًا ".[5]

فالقرآن الكريم معجزة من وجوه متعددة من حيث فصاحته وبلاغته ونظمه وتراكيبه وأساليبه وما يضمه من أخبار ماضية ومستقبلية وما اشتمل عليه من أحكام جلية وقد تحدى ببلاغة ألفاظه

[1] المرجع نفسه، ص،ص:9.10.
[2] سورة الإسراء، الآية88.
[3] سورة البقرة، الآيتين23.24.
[4] سورة هود، الآيتين12.14.
[5] سورة الفرقان، الآية6.

فصحاء العرب كما تحداهم بما اشتمل عليه من معان صحيحة كاملة وهي أعظم في التحدي عند كثير من العلماء. فأسلوب القرآن لا يشبه أسلوب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الوارد في أحاديثه الشريفة.[1]

ولا يقدر من الصحابة ولا من جاء بعدهم أن يتكلم بمثل أساليبه صلى الله عليه وسلم في فصاحته وبلاغته. لكون البلاغة العربية ميدان واسع من العلم قد يجد الدارس نفسه ملزما على اقتحامه واجتيازه إن لم يكن من قبيل تحصيل النجاح فمن قبيل نفض التراث البلاغي الكشف والإطلاع على نجوده وأغواره ذلك لأنه في جميع الأحوال يصلح قاعدة متينة للدراسة وأي دراسة. فالإعجاز القرآني هو التعبير الإسلامي عن المعجزة التي وجد كل نفسه مضطرا لاحترامها لكي يصدقه الناس، ويقبلوا بأن ما يأتيهم به هو من عند الله. وإذا ما بهر موسى قومه بعصا سحرية، وعيسى بشفاء الأكمة والأبرص وإحياء الميت.[2]

كان النص القرآني من الناحية الأدبية هو المعجزة التي واجه محمد صلى الله عليه وسلم بها العرب. وقد ورد ذلك في عدة سور من سور القرآن الكريم. تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن" قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا "[3] وفي القرآن الثالث للهجرة وجد المسلمون أنفسهم بحاجة للدفاع عن الإسلام في وجود التيارات المناوئة التي استطاعت أن تجد لنفسها مكانا تحت شمس الدولة الإسلامية. فحمل المفكرون هو الكشف عن أسرار البلاغة القرآنية ودلائل الإعجاز.[4]

نلاحظ أن للعلماء جهودا كبيرة من خلال دراسة هذا العلم المتمثل في النص القرآني.

---

[1] محمد حبين سلامة، **الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم**، ط1، 1423هـ/2002م، الشركة الدولية للطباعة، ص:11.

[2] علي مهدي زيتون، **الإعجاز القرآني وآلية التفكير النقدي عند العرب وبحوث أخرى**، ط1، 2011، دار الغاربي، بيروت، لبنان، ص:44.

[3] سورة الإسرا، الآية88.

[4] المرجع نفسه، ص،ص:44.45.

فاختلف العلماء حول مكمن المزية المعجزة، وصار هذا الأمر مدعاة لتأسيس حركة نقدية موضوعها {إعجاز القرآن}. فكان الفراء **207**هـ وكتابة {معاني القرآن} وأبو عبيدة معمر بن المثنى**209**هـ وكتابة {مجاز القرآن}، وابن تيمية الدينوري **276**هـ وكتابة " تأويل مشكل القرآن"، أول الغيث الذي حاول اشتقاق معاني القرآن وما فيه من مجاز ثم نما شيئا فشيئا، إلى أن أدرك النضج على يد كل من الرماني **368**هـ والخطابي **388**هـ والبقلاني **403**هـ، وغيرهم ممن حاولوا استقراء النص القرآني بحثا عن الإبداع فيه، فأسهم كل واحد منهم حسب طول باعه في تحويل الإبداع القرآني إلى مفاهيم جمالية، وتبقى ظاهرة الدراسات الاعجازية عصية على الفهم إذ لم ندخل علم الكلام من الباب العريض، لأن هذا العلم يتدخل في دراسة الإعجاز القرآني بدافع الحمية والدفاع عن الإسلام.[1]

لذا فإن إعجاز القرآن سر محجوب عن الأنظار لا يقع موقع الحس ولا يستجيب لدواعي الحواس. ولا يخضع للتحاليل الكيميائية، إنما هو أشبه بريح طيبة تهُب عليك من روض أريض. إن القرآن الكريم يمل إلى الناظر فيه، والمستقبل لأضوائه، ما يحمل الروض إلى من يستقبل ريحه من أريج الزهر.[2]

فالقرآن الكريم هو روح الأمة الإسلامية به تكون سيدة العالم وبدونه لن تكون إلا عالة على غيرها.

فموضوع الإعجاز هو النص القرآني. والقرآن كلام الله الذي يعد صفة من صفاته، ويتناول علم الكلام والتوحيد وصفات الله المعظَّم بشكل أساسي،ولعل أهم تيارين تناولا مسألة صفات الله هما تيار **الأشاعرة** وتيار **المعتزلة والشعية**.

---

[1] المصدر السابق، علي مهدي زيتون، **الإعجاز القرآني وآلية التفكير النقدي عند العرب وبحوث أخرى**، ص:45.

[2] عبد الكريم الخطيب، **إعجاز القرآن الإعجاز في دراسات السابقين دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها**، ط1، 1984، دار الفكر العربي، ص:44.

قال **المعتزلة والشيعة**، من باب تشددهم في التوحيد أن صفات الله هي عين ذاته، فهو قادر بقدرة هي هو، وعالم بعلم هو...الخ،وقسموا هذه الصفات ومن بينهم **الجبائي** إلى صفات ذات القدرة والعلم وصفات أفعال الكلام. وهم لم ينطلقوا من تعريف للكلام يؤدي بهم إلى القول بحدوث كلام الله. وبالتالي خلق القرآن كما ذهب إليه **نصر أبو زيد**.[1]

أمَّا أهل **السنة**: خصوصا **الأشاعرة** بأن صفات الله مستقلة عن ذاته فهو قادر بقدرة مستقلة عنه، وعالم بعلم مستقل عنه أيضا. وقالوا: إن هذه الصفات قديمة وكذلك كلام الله. وإذ كان اللفظ محدثا وتابعا للغات المحدثة وجب أن يكون الكلام هو المعنى. وكلام الله معنى قائم في ذات الله، فانعكس هذا الاختلاف في تحديد الكلام اختلافا في تحديد **التيار الأول** على جانب الإيصالي منها فرأى **الروماني** أنها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ.[2]

وركَّز **التيار الثاني** على الجانب الكشفي من البلاغة فرأى **الجرجاني**: "في البلاغة أن يؤتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له" في حين يكون الكشف عن المعنى هو هم البلاغة الأساسي، مما جعل معظم الأشاعرة يميلون إلى دراسة البلاغة التي توج الجرجاني، جهودهم من خلال نظرية نظم المعاني.[3]

[1] على مهدي زيتون، الإعجاز القرآني و آلية التفكير النقدي عند العرب و بحوث أخرى ، ص:46.
[2] المرجع نفسه، ص:47.
[3] المرجع نفسه، ص:48.

لقد اعتنى العلماء بمسألة الإعجاز القرآني، وجهدوا أن يكشفوا وجوهها لأنها تثبت عقيدة الإسلام في القلوب، وترد سهام الطاغين في أصل المعجزة ومن هنا فضل البقلاني البحث في الإعجاز على غيره من العلوم قال:" وقد كان يجوز أن يقع ممن عمل الكتب النافعة في معاني القرآن، وتكلم في فوائده من أهل الصنعة العربية، وغيرهم من أهل صناعة الكلام، أن يسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته. والدلالة عن مكانه فهو أحق بكثير مما ضفوا فيه القول في الجزء والطفرة ودقيق الكلام في الأعراض وكثير من بديع الإعراب وغامض النحو، فالحاجة إلى هذا أمس والانشغال به أوجب".[1] إن تقدم المجتمع العربي الإسلامي في مضمار الحضارة، واتساع أفاق الحياة، وتراكم المعارف، وتشيعها فضلا عن حاجات الناس ومتطلباتهم أدى إلى التخصص في العلوم وقد تنشأ علم الإعجاز معتمدا على جهود علماء اللغة الأوائل. وعلى جهود علماء الكلام الذين أدخلوا قضية الإعجاز في إطار العقيدة للدفاع عن الإسلام وهو يلي حاجة المسلمين إلى اكتشاف طبيعة معجزتهم الفريدة. ولا تزال تتوالى إسهامات العلماء على تعدد اختصاصاتهم في رفد الإعجاز بجهود وبحوث حتى عد علما ذا كيان خاص بين علوم القرآن ومازال البحث فيه يتجدد بتجدد العصور، وتباين طبائها. وهذا العصر الحديث يواجه قضية الإعجاز في صورة جديدة. فالإعجاز اليوم أمام المسلمين مثقفين ثقافة أجنبية عن لغة القرآن. فضلا عن العرب المسلمين. الذي يبتعد بهم العصر عن تذوق الإعجاز بالفطرة.[2]

فمنذ ظهور القرآن الكريم الذي يمثل المعجزة المحمدية استدعى الحفاظ عليه واستلزم استعمال التأويل. إذ بدأ القوم يعكفون على قراءته ودراسته محاولين التواصل إلى فهم ما بدا لهم وما يمكن أن يفهم من بواطن الألفاظ. فأدرك العلماء أن للشرع ظاهرا وباطنا ف الكتب الإلهية تنزيلات ظاهرة وهي الألفاظ المقروءة المسموعة ولها تأويلات خفية باطنة وهي المعاني المفهومة المعقولة [3]، حيث ورد التأويل القرآني في **قوله تعالى:" وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ**

[1] البقلاني، **إعجاز القرآن**، د،ط، د،ت، ص،ص:3.4.

[2] محمد كريم الكواز، **الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم**، ط1، 1426م، دار الكتب الوطنية بنغازي، ص،ص: 20.21.

[3] ينظر: أحمد عبد الغفار، التأويل الصحيح للنص الديني، د،ط، 2003، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب، الإسكندرية، ص:26.

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا"[1] ، وقوله أيضا" قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيهِ صَبْرًا"[2].

فهو وسيلة للكشف عن معاني النصوص القرآنية وتبيينها. ولكن في الآونة الأخيرة أصبح سببا في توسيع الدلالة بإضافة معان جديدة للنص وذلك راجع إلى أن رجال الصدر الأولى في الإسلام يتحرجون من القول في القرآن بالرأي. فظاهرة التأويل المتصلة باللغة أي التي تعنى باللفظ بعيدا عن أي غرض للتحريف فقد لازمت الأسلوب العربي متى دعت الحاجة إلى ذلك طلبا للفهم الواعي المدرك للنصوص الدينية بحثا عن قصد الشارع. وهنا يقوم التأويل بإظهار هذا القصد وبيانه. حيث احتضنته بعد ذلك الفرق بعد نضوجه إذ وجدت فيه ضالتها فأساءت إليه وأفسدته.[3]

وهكذا عمل التأويل في بيئة التشريع على توسيع آفاق النص حتى يستغرق متجدد أحداث الحياة كما عمل أيضا على التوفيق بين الآراء والنصوص التي تشعر بالتعارض والتناقض لأنه وسيلة من وسائل الكشف عن المقصد في الخطاب ومعرفة الحقيقة.

[1] سورة الإسراء، الآية35.

[2] سورة الكهف، الآيتين82.87.

[3] ينظر، أحمد عبد الغفار، **التأويل الصحيح للنص الديني**، د.ط، 2003، دار المعرفة الجامعية كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ص،ص: 26.35.

تمهيد:

لم تكن البلاغة العربية في وقت من الأوقات بعيدة عن الحياة و مناشطها بل شغلت الناس واشتغلوا بها. ولم تكن البلاغة العربية بمنأى عن معترك الأمور دقيقها وعظيمها، ولم تكن قابعة في برج عاجئ مشرفة على الناس من أعلى، بل كانت البوابة السمحة الشاملة لعوم الإنسان، مرتبطة بالبيئة وأنواعها وهموم الإنسان وآماله و آلامه، ورغباته، وآهاته وعقيدته. ونزاعه وميوله وثقافته وحضارته، ومن هنا كانت بتعريفها المشهور **مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال**. والحال من خلال البلاغة أو الرسالة المرسلة بين المتفنن والمتلقي معا. وهناك حالة واحدة من كلام الله تعالى(القرآن الكريم). وهي سعادة المتلقي في الدارين(الدنيا والآخرة) ويندرج قريبا من الحال(**الحديث النبوي الشريف**) [1].

وفي ضوء ما تقدم فإن البلاغة العربية نقل ما في نفس المتفنن إلى المتلقي بتأثير. وهذا النقل في وظيفتين واحدة دنيوية تتصل بالكشف عن الإعجاز القرآني والبيان النبوي الشريف.

[1] محمد بركات، **كيف نقرأ تراثنا البلاغي**، ط1، 1999، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، عمان، ، ص:25.

المبحث الأول: البلاغة العربية.

إن كلمة البلاغة من الكلمات التي شارع استعمالها في كتب البلاغة الأدب وكانت هي والفصاحة صنوين تستعملان معا أو تستعمل الواحدة في موضع الأخرى.

البلاغة في:

اللغة:

والبلاغة ـ في اللغة ـ الانتهاء والوصول وفي لسان العرب: بلع الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى. تبلغ بالشيء: وصل إلى مراده البلاغ: ما يبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب. البلاغ: ما بلغك، والكفاية الإبلاغ: الإيصال، بلغت المكان بلوغا: وصلت إليه وكذلك إذا أشارت عليه.[1]

ويقول **أبو هلال العسكري** في كتابه الصناعتين:" البلاغة في قولهم بلغة الغاية إذا انتهت إليها وبلغتها غير. ومبلغ الشيء منتهاه والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته، فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه(...) وهي البلاغ أيضا أي التبليغ".[2]

من خلال التعريف اللغوي للبلاغة نرى أنها تأدية المعنى إلى قلب السامع.

[1] أحمد مطلوب، **أساليب بلاغية الفصاحة، البلاغة، المعاني**، ط1، 1980/1979، وكالة المطبوعات شارع فهد السالم، دار القلم الكويت، ص:51.

[2] أبو الهلال العسكري، **كتاب الصناعتين**، د. ط. د. ت، ص:06.

الاصطلاح:

أشار **ابن منظور** إلى المعنى الاصطلاحي فقال:" البَلاَغَةُ: الفصاحةُ والبلْغُ والبَلِيغُ: البليغُ من الرجال ورجل بليغٌ وبلَغَ وبليغٌ: حسن الكلام فصيحة يَبْلُغُ بعبارة لسانه كُنْه ما في قلبه ـ والجمع بلغاء، وقد بلغ بلاغة: صار بليغا".[1]

ومن هنا نستخلص المعنى العام لكلمة البلاغة، أولا والفصاحة ثانيا مترادفتان وهذا رأي معظم اللغويين والبلاغيين الأوائل.

في القرآن:

إنَّ لفظة البلاغة في التراث العربي لفظة شائعة ومعروفة وقد جاءت "بليغٌ" **قوله تعالى"فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ، وَعِظْهُمْ، وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا"** [2]، ويفسرها ـ أي الآية الكريمة ـ **الراغب الأصفهاني**: البلاغة تقال على وجهين:

الأول: أن يكون بذاته بليغا وذلك أن يجمع ثلاثة أوصاف صوبا في موضوع لغته، وطبقا للمعنى المقصود.

الثاني: أن يكون بليغا باعتباره القائل والمقول له، وهو أن يقصد القائل أمرا فيرده على وجه حقيق أن يقبله المقول له. **قوله تعالى:" وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا"** ،والزمخشري فسرها وقال ـ الآية الكريمة ـ وأشار إلى تأثيرها رمزا في قوله:" قل لهم قولا بليغا مؤثرا في قلوبهم يعتمون به اعتماما ويستشعرون منه الحوفُ استشعارا".[3]

[1] المصدر السابق، أحمد مطلوب، **أساليب بلاغية الفصاحة، البلاغة، المعاني** ، ص:51.

[2] سورة النساء، الآية63.

[3] **ينظر**: المرجع نفسه، ص:51.

في الحديث:

وليس في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ما يشير إلى هذا المعنى مع كثرة ما جاء به مشتقاتها في كلامه. فقد ورد عنه قوله إن الله يبغض البليغ الذي يتخلل بلسانه وجاء عنه أنه عاب فيه المتشدقين والثرثارين والذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها.[1]

من خلال ما سبق نستخلص أن لفظة البلاغة في القرآن والحديث لفظة شائعة ومعروفة، وورودها في القرآن الكريم بكثرة.

فالبلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب مع ملائمة كل كلام للمواطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون، فليست البلاغة قبل كل شيء إلا فنا من فنون يعتمد على صفا الاستعداد الفطري ودقة إدراك الجمال، وتبين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب، وللمرانة يد لا تجحد في تكوين الذوق الفني، وتنشيط المواهب الفاترة، ولابد للطالب إلى جانب ذلك من قراءة طرائف الأدب، والتَّملؤ من نَميرة الفياض، ونقد الآثار الأدبية والموازنة بينهما.[2]

فعناصر البلاغة إذًا لفظٌ ومعنى وتأليف للألفاظ يمنحها قوة وتأثيرًا حسنا ثم دقةٌ في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام.[3]

ومن هنا كان للبلاغة العربية فنا يعتمد على وصف الاستعداد الفطري ودقة المعاني لتكون الذوق الفني وصقل المواهب.

[1] المصدر السابق، أحمد مطلوب، **أساليب بلاغية الفصاحة، البلاغة، المعاني** ، ص:52.

[2] علي الجازم ومصطفى أمين، **البلاغة الواضحة البيان المعاني البديع**، ط1، 2002، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان،ص:8

[3] المرجع نفسه، ص:9.

البلاغة: "هي أن يكون مطابقا لمقتضى الحال مع فصاحته فكل بليغ فصيح ولا يعكس، ولا تكون البلاغة إلا في المركب لأنها متوقفة على المطابقة بمقتضى الحال وذلك لا يكون إلا في المركبات بخلاف الفصاحة أما مقتضى الحال فهو ما يدعو إليه الأمر الواقع أي ما يقتضيه الحال الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص كما إذا كان المخاطب منكرا للحكم الذي يلقي إليه فإن إنكاره يدعو إلى تأكيد الكلام له وهذا التأكيد هو مقتضى الحال ويختلف مقتضى الحال لاختلاف ما يدعو إلى من مقامات الكلام فإن منها ما يدعو إلى التعريف ومنها ما يدعوا إلى التنكير ومنها ما يدعو إلى الإطلاق ومنها إلى التقييد وهكذا في التقديم والتأخير والذكر والحذف إلى غير ذلك مما ستعلمه".[1]

من خلال الدراسة تبين لنا أن للبلاغة مفاهيم عديدة ومتعددة كلما تعمقنا فيها، ازدادت رونقا وجمالا، من الجانبين الأسلوبي والجمالي.

في التراث:

في العصر الأموي نجد معاوية ابن أبي سفيان يسأل **لصحار بن عياش العبدى** ما هذه البلاغة التي فيكم؟ قال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا قال له معاوية: ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال **الإيجاز** قال له معاوية: وما الإيجاز ؟ قال صحار:أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ.[2]

ومن هنا نستخلص أنه في هذا العصر أصبحت البلاغة إيجازا فهي اقتصار للمعاني والألفاظ ودقة التصوير.

[1] الشيخ ناصيف اليازجي، **دليل الطالب إلى علوم البلاغة والعروض**، ط1، 1999، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ص:05.

[2] الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، د.ط، د.ت، ج1، مكتبة الخفاجي، القاهرة، ص:96.

فالبلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتباره إفادته المعنى عند التركيب، وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة أيضا، وهو مراد الشيخ عبد القاهر بما يكرره في **دلائل الإعجاز** من الفصاحة صفة راجعة إلى المعنى دون اللفظ كقوله في ثنايا فصل: علمت أن الفصاحة والبلاغة وسائر ما يجري في طريقهما أوصاف راجعة إلى المعاني وإلى ما يدل عليه بالألفاظ. دون الألفاظ أنفسها، لأنه صرح ـ عبد القاهر ـ في مواضيع من **دلائل الإعجاز** بأن فضيلة الكلام للفظ لا لمعناه منها أنه حكى قول من ذهب إلى عكس ذلك فقال: فأنت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمه أو اشتمل عليه.[1]

ومنه يتبين أن عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز أن الفصاحة ترجع إلى المعنى، وأن كل من الفصاحة والبلاغة صفتان راجعتان إلى المعاني.

[1] ينظر، الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ط3، 2008، دار مؤسسة المختار، الشركة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ص:20.

حدود البلاغة العربية لدى البلاغين العرب:

لم يكن للبلاغة تعريف واحد فقط بل كان لها عدة حدود وتعريفات والتي نلمسها عند العلماء البلاغيين، فحدود البلاغة العربية هي:

– **قال إسحاق بن حان:** " لم يفسر أحد البلاغة تفسير إلى المقفع إذ قال: البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه منها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعًا ومنها ما يكون خطابًا..."[1]، والإيجاز هو البلاغة.

– **قال الرومي:**" البلاغة حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة عند الإطالة".[2]

– **قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:** "البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغفلة وإبانة عن مشكل".[3]

– **قال ابن المقفع:** البلاغة كشف ما غمض من الحق وتصوير الحق في صورة الباطل.[4]

– **قول الخليل ابن أحمد** في حدِّ البلاغة هي:" التعبير الصحيح عن العاطفة حق".[5]

– **وقول سورين**[6]:" هي الفكرة الصائبة ثم الكلمة المناسبة".[7]

وآخرون من علماء الغرب الذين قالوا في البلاغة بما يشبه العرب في إجمال المعنى وبعد الإشارة مثل **لا هارب، لا بروبير...**[8]

---

[1] عبد العزيز عبد المعطى عرفة، **تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطورها**، ط01، 1978، دار الطباعة المحمدية، الأزهر، القاهرة، ص:8.

[2] المرجع نفسه، ص:09.

[3] المرجع نفسه، ص:09.

[4] المرجع نفسه، ص:09.

[5] أحمد حسن الزيات، **الدفاع عن البلاغة**، ط02، 1927، دار عالم الكتب، القاهرة، ص:33.

[6] **سورين:**" شاعر درامي ولد ومات في باريس سنة 1281.

[7] المرجع نفسه، أحمد الزيات، ص،ص: 33.34.

[8] المرجع نفسه، ص:34.

وكذا قول **أبو هلال العسكري:** البلاغة من قولهم: بلغت العناية إذا انتهت إليها وبلغتها غيري ومبلغ الشيء: منتهاه والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته، فسميت البلاغة بلاغة،لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه ويقال بلغ الرجل بلاغة، إذا صار بليغا كما يقال نُبل نبالة: إذا صار نبيلا وكلام بليغ وبلغ (بالفتح) كما يقال، وجيز و وجز وأبلغت في الكلام إذا أتيت بالبلاغة فيه.[1]

قال **جعفر بن يحي:**" البلاغة أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك وتخرجه من الشوكة ولا تستعين عليه بطول الفكرة ويكون سليما من التكلف، بعيدا من سوء الصنعة، بريئا من التعقيد غنيا عن التأمل".[2]

خلاصة القول يتضح مما سبق ذكره أن جل العلماء العرب والغرب أعطوا للبلاغة تعريفا موحدا تتجلى معانيه من خلال الوضوح والدقة والجمال وكلها تنتهي في إيصال المعنى إلى قلب السامع.

أوائل العلماء الذين ألفوا في البلاغة العربية:

لم يُؤلف العرب البلاغة العربية في العصر الإسلامي ولا العصر العباسي إنما بدؤوا التأليف منذ القدم، لأن لكل علم علماء يجتهدون على نجاحه ومعرفة خباياه وكشف أسراره وكانت البلاغة العربية من بين العلوم العربية أكثر تأليفا ومن العلوم الشاسعة واهتم بها مجموعة من العلماء والبلاغيون والحكماء والفلاسفة وغيرهم.[3]

[1] بدوي طبانة، **معجم البلاغة العربية**، ط01، 1975، دار المنار للنشر والتوزيع، جدة، رياض، ص:75.

[2] المرجع نفسه، ص: 81.

[3] محمد عبد المنعم خفاجي، **البلاغة العربية بين التقليد والتجديد**، ط01، 1992، دار الجبل، بيروت، ص:34.

ومن هنا سنتطرق إلى أهم العلماء الذين أرسوا لهذا العلم وألفوا فيه:[1]

1)– الإمام أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري (112هـ–202هـ)، وكان من أئمة الأدباء والنفاذ وكتابه **مجاز القرآن** وقد ذكر فيه كثير من آيات القرآن الكريم وحلل بلاغتها، ودافع عنها دفاع العالم الحجة المجود.

2)– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (120هـ–252هـ) وهو شيخ الأدب والعربية والنقد في عصره، وقد ألف كتابه المشهور سماه البيان والتبيين وجمع فيه الكثير من بلاغات العرب وأرائهم في النظم والشعر، وتحديدهم لمعنى البلاغة والفصاحة.

3)– أبو العباس عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي الأديب الشاعر المشهور (248هـ–292هـ) كنيه، البديع، وقال:" ما جمع قبلي فنون البديع أحد".

من خلال الدراسة تبين لنا أن علماء العرب اجتهدوا في دراستهم للبلاغة العربية وبيان أرائهم وتحليل أهم ما جاءوا به من بيان وبديع وفصاحة.

أول مؤلف في البلاغة العربية:

–الإمام عبد القاهر الجرجاني المتوفى (471هـ) وصاحب كتاب أسرار البلاغة وكتاب دلائل، فكتاب أسرار البلاغة فيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة وفيه شرح للسرقات وبعض أنواع البديع.

–أبي بكر محمد بن علي السكاكي وكتابه المفتاح وبعد عصر القاهرة ظهر الإمام أبو يعقوب السكاكي المتوفى (223هـ) وخص في كتابه قسم سماه البلاغة.

–الخطيب القز ويني ومدرسته في البلاغة المتوفى (739هـ).

[1] المرجع السابق، محمد عبد المنعم خفاجي، **البلاغة العربية بين التقليد والتجديد**، ص،ص: 34.35.

-السعد السيد بعد السكاكي والقزويني ظهر شيخا للبلاغة، (712هـ-791هـ) كتابه المطول، ومختصر المعاني.[1]

نهتدي إلى أن تأليف البلاغة العربية جاء ليؤصل للدرس البلاغي خدمة للمعنى والذوق الفني.

واضح علم البلاغة العربية:

اختلفت الآراء حول من وضع علم البلاغة أهو الجاحظ؟ أو السكاكى، الجاحظ أول مؤسس لعلم البيان العربي.[2]

من هنا نلمس أنَّ للبلاغة بيانا وبديعا عربيا خالصا عند شيخنا الجاحظ الذي وضع لبيان مفهوما وللكلام دقة وجمالا.

المفاهيم الخاصة بعلم البلاغة العربية:

الكلام البليغ:

إن الكلام البليغ هو مطابقة لمقتضى حال المخاطب به فردا كان أو جماعة وبالغا التأثير المرجو في نفسه، ولا يخلوا هذا أيضا من مؤثرات جمالية.[3]

نستنتج أن الكلام البليغ هو أن يكون في ذاته بليغا وأن تجمع فيه أوصاف في اللغة والمعنى وأثرهما في نفس المتكلم.

[1] المرجع السابق، محمد عبد المنعم الخفاجي،**البلاغة العربية بيم التقليد والتجديد**، ص:35.

[2] المرجع نفسه، ص:36.

[3] عبد الرحمان بن حنيكة الميراني، **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**، ط1، 1997، ج1، دار القلم، دمشق، ص:19.

بلاغة المتكلم:

هي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود باللفظ الفصيح ، كما قيل :" شاعر فصيح، أو بليغ وكتاب فصيح أو بليغ.[1]

نرى أن لكل متكلم حتمية تجسيد بلاغة في كلامه لأنها ملكة يقتدر بها في تأليفه للجمل.

فصاحة المتكلم:

هي الهيئة الراسخة في نفسه يقدر بها على تعبيره عن المقصودة بحسب مقتضى الحال بلفظ فصيح، فالهيئة جنس دخل فيه غير الفصاحة من الهيئات النفسية، فيقدر وليس يعبر ليشمل حالتي النطق والسكوت فإن الفصيح فصيح وإن لم يتكلم.[2]

نستخلص أنَّ للفصاحة علاقة بسياق الكلام منه تنطلق وإليه تعود.

البلاغة في الكلام:

والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال بشرط فصاحته، فلا بد عند الخطيب في الكلام البليغ من أن يكون فصيحا، والحال هو الأمر الذي يقتضى أن يؤتى بالكلام على صفة مخصوصة مناسبة له، من ذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير أو غير ذلك، ويسمى الحال المقام أيضا وتسمى تلك الصفات: خصائص ومزايا ونكات، وقال الخطيب إن تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم وهو عنده عبارة عن تآخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام.[3]

فالبلاغة مما تقدّم ترتبط ارتباطا عضويا بالفصاحة ولا يمكن الفصل بينهما في جميع الأحوال.

---

[1] المرجع السابق، محمد عبد المنعم الخفاجي، **البلاغة العربية بين التقليد والتجديد**، ص:56.

[2] ركن الدين محمد بن علي الجرجاني، **الإشارة والتنبيهات في علم البلاغة**، ط01، 2002، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص:23.

[3] عبد المتعال الصعيدي، **البلاغة العالية(علم المعاني)**، ط03، 1991م، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، ص:27.

مراتب البلاغة:

للبلاغة العربية بلاغة: **أعلى** وهو الذي يبلغ رتبة الإعجاز وذلك هو كتاب القرآن الكريم، **وأسفل** وهو الذي غير الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وإن كان صحيح الإعراب، وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة وقد أنكر فخر الدين الرازي أن يكون الطرف الأسفل من البلاغة لأن منزلتها عنده أعلى منه، ويجب على هذا أن لا يكون يكتفي في تعريفها بما سبق.[1]

فصاحة الكلمة: فهي الكلمة العربية التي تخلو من أربعة عيوب وهي التنافر والغرابة ومخالفة القياس وكراهة السمع لها.[2]

في صفوة القول أنَّ للبلاغة منزلتين مختلفتين الأعلى والأسفل مثل الإعجاز، والثاني إن لم تكن البلاغة بكلام بليغ يصبح تعبرها بأصوات الحيوانات في نظر فخر الدين الرازي.

أركان البلاغة الأساسية:

البلاغة علم له قواعده وفنٌ له أصوله وأدواته كما لكل علم فن وهو له أركان أساسية يجب توفرها وهي كالتالي: **علم المعاني، علم البيان، علم البديع.**

أولا: علم المعاني:

هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمنا من السياق، وما يحيط به من القرائن، أو علم يبحث في الجملة بحيث تأتي معبرة عن المعنى المقصود، وأحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال هي : **الحذف، الذكر، التعريف، التنكير، التقديم، التأخير، الفصل، الوصل، المساواة، الإيجاز، الإطناب وما إلى**

[1] المرجع السابق، عبد المتعال الصعيدي، **البلاغة العالية(علم المعاني)**، ص:29.

[2] عبد الرحمان بن حنبلة الميراني، **البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها)**، ط1، ج1، 1996، دار القلم، دمشق، ص:111.

ذلك، وأحوال اللفظ العربي، تارة تكون أحوالا لمفرده وتارة تكون أحوالا لجملة وعلم المعاني يتألف من المباحث التالية: الخبر والإنشاء،أحوال الإسناد الخبري،أحوال متعلقات الفعل،القصر، الفصل والوصل،المساواة والإيجاز والإطناب، وذلك لأن الكلام العربي نوعان إمَّا خبر أو إنشاء ولابد له من إسناد: مسند ومسند إليه، والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا أو في معناه كاسم الفاعل وكل من التعلق والإسناد إمَّا قصر أو غير قصر والجملة إذا اقترنت بأخرى فالثانية إمَّا معطوفة على الأولى أو غير معطوفة وهما الوصل والفصل ولفظ الكلام البليغ إمَّا مساو ي لأصل المراد وهو المساواة، وإمَّا ناقص عن المراد وهو الإيجاز أو زائد عن الأصل المراد لفائدته وهو الإطناب.[1]

ومنه نستنتج أن علم المعاني الذي يعد من بين علوم البلاغة العربية والتي تعد الركيزة الأساسية في تبيان أحوال اللفظ العربي مع توافقه لمقتضى الحال.

ثانيا: علم البيان

اعتمد البلاغيون و ما قدمه السكاكى من جهد في تحديد منطقة عمل هذا العلم حيث قال إنه معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه وهذا التعريف يحصر مباحث العلم في دائرة الصياغة الأدبية التي تتجاوز دائرة المواضعة، ذلك أن هذه الدائرة الأخيرة لا تحتمل الزيادة أو النقصان، إذ أن تردد التراكيب المتوافقة دلاليا والمختلفة صياغة لا تحتمل اهتزاز الناتج الدلالي فلو قلنا الخلد كالورد في الحمرة، امتنع أن يكون كلام مؤد لهذا المعنى بالدلالات الوضعية أكمل منه

[1] المصدر السابق، الجرجاني، **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**، ص،ص: 4.5.

الوضوح أو نقص لأننا لو أقمنا مقام كل كلمة ما يرادفها فالمتلقي إن كان عالما بكونها موضوعة لتلك المفهومات كان فهمه منها كفهمه من غير تفاوت.[1]

ولقد وجدنا لفظة البيان في القرآن الكريم في مواضيع متعددة منها **قوله تعالى**:" **هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِّ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلمُتَّقِينَ**"[2]، وردها كذلك في سورة" **لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**"[3].

علم البديع:

تدور مادة **بَدَعَ** في معاجم اللغة حول معنى الجدة والحداثة ففي لسان العرب بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه، أنشأه وبدأه وبدع الركية استنبطها وأحدثها وركي بديع حديثه الحفر، والبديع والبدع الشيء الذي يكون أولا وفي التنزيل قل ما كنت بدعا من الرسل أي ما كنت أول من أرسل قبلي رسل كثير... والبديع: المبدع وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال.

أمَّا اصطلاحا في التراث النقدي والبلاغي عند العرب فإنها قد تباينت ضيقا واتساعا وتعميقا وتخصيصا ويمكن بيان ذلك من خلال تتبع دلالة اللفظ(البديع)، عند من ذكروها في كتبهم، بوصفها مصطلحا بلاغيا وقد مر علم البديع في البلاغة العربية بعدة مراحل نميز منها مرحلتين مختصرتين:ما قبل القرن السابع الهجري و القرن السابع الهجري وما تلاه.[4]

أي نرى من خلال هذا الفن اتساع مجال البديع في البلاغة العربية وتطوره على يد علماء كُثر ، كما يركز على تحسين جميع أنواع الكلام بشقّيه اللفظي والمعنوي.

---

[1] محمد عبد المطلب، **البلاغة العربية قراءة أخرى**، ط01، 1997، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، بيروت، لبنان، ص:128.

[2] سورة آل عمران، الآية138.

[3] سورة القيامة، الآيتين15.19.

[4] ينظر: جميل عبد المجيد، **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د، ط، د،ت، ص،ص: 13.14.

بين الفصاحة والبلاغة العربية:

في تعمقنا في موضوع البلاغة العربية وجدناها تتداخل وجدناها تتداخل مع مفهوم الفصاحة ووجدنا العلماء يفرقون بين مفهوم الفصاحة والبلاغة في كثير من المواضيع وآخرون يقرون بأنها نفس المفهوم لذا حاولنا تبيين الفصل بين(البلاغة والفصاحة): فالفصاحة عند علماء البلاغة تأتي وصفا للكلمة الواحدة ووصفا للكلام ووصفا للمتكلم، فيقال: كلمة فصيحة، وكلام فصيح، ومتكلم فصيح.[1]

فالفصاحة خاصة تقع صفة للمفرد، فيقال"كلمة فصيحة" ولا يقال كلمة بليغة فصاحة المفرد، فهي خلوصه من التنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي.[2]

والبلاغة تتحقق بمجرد وصول المعنى بأي طريقة كان الوصول حتى ولو كان الكلام معدلا عن أصله.[3]

والفصاحة هي سلامة الكلام من العيوب اللفظية في المفردة المركبة ولأن الفصاحة تقوم على المعنى الأول الذي وضعه العرب واستعملوه قبل أن تظهر علوم البلاغة والنقد، وللفصاحة تعريفات مثل البلاغة في الحديث والقرآن وغيرها فهي علم قائم بحد ذاته.[4]

وأمَّا البلاغة فهي كون الكلام الفصيح موصلا للمتكلم إلى أقصى مراده، وأكثر البلغاء ولا يكونون يميزون بينهما.[5]

خلاصة القول في هذا الصدد أن للبلاغة والفصاحة مجالين واسعين مختلفين رغم تشابههما في بعض الأحيان.

---

[1] **ينظر**: عبد الرحمان بن حنبلة، **البلاغة العربية(أسسها، علومها، فنونها)**، ط1، د،ت، ج1، دار القلم، دمشق، ص:111.

[2] الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ط03، 2007، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ص:11.

[3] د. محمد مشبال، **البلاغة والخطاب**، ط01، سنة2014، دار الأمان،ص:39.

[4] **ينظر**: المرجع السابق، أحمد مطلوب، **أساليب بلاغية (الفصاحة، البلاغة، المعاني)**، ص:11.

[5] البحراني، **أصول البلاغة**، تحقيق اللجنة العلمية في مؤسسة الصادق، ط01، 1433هـ، مؤسسة الإمام الصادق، ص:54.

المبحث الثاني: نشأتها

تعد البلاغة العربية من العلوم العربية وهي مصطلح تاريخي قديم نشأ وتطور على يد كثير من العلماء والبلغاء لذا يجب علينا تتبع مراحل تاريخ هذا العلم والكشف عن جذوره التاريخية عبر الزمن والعصور.

نشأة البلاغة العربية:

في العصر الجاهلي والإسلامي:

بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان، وقد صور الذكر الحكيم ذلك في غير موضع منه مثل **قوله تعالى:"الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ القُرْآنَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ البَيَانَ"** [1]، كما صور شدة عارضتهم وقوتهم في الحجاج والجدل، مثل" **فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد"** ومن أكبر الدلائل على ما حذقوه من حسن البيان أن كانت معجزة الرسول الكريم وحجته القاطعة لهم أن دعا أقصاهم وأدناهم إلى معارضة القرآن في بلاغته الباهرة، حيث يروى أن **الوليد بن المغيرة أحد خصوم** الرسول **صلى الله عليه وسلم الألداء** استمع إليه وهو يتلو بعض آيات القرآن، فقال:" والله لقد سمعت من محمد كلاما، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق[2]".[3]

لذا كانوا يعربون على إعجابهم ببلاغة القول في تصوير بيانه، حيث كان للجاحظ في بعض فصوله **بكتابه البيان والتبيين** ، وصف لكلامهم في شعرهم وخطابتهم بالحلل والديباج والموشى وأشياء ذلك.[4]

---

[1] سورة الرحمن، الآية04.

[2] مغدق: كثير المياه.

[3] الزمخشري، **تفسير الكشاف**، ط03، 2009م، دار المعرفة، لبنان، ص:153.

[4] المصدر السابق، الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ص:222.

جاء في أخبار **النابغة الذبياني** أن الشعراء الناشئين كانوا يتحكمون فيها إليه، فمن نوه به طارت شهرته في الأفاق، وكان يبدي بعض الملاحظات على معاني الشعراء وأساليبهم، ويقال إنه فضل الأعشى على حسان بن ثابت، وفضل الخنساء على بنات جنسها، وثار حسان عليه، وقال له: أنا والله أشعر منك، فقال له النابغة حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول حسان.

لنا الجفناتُ الغرِ يلمعنَ بالضُّحى وأسيافنَا يَقْطَرْنَ من نجدةٍ دمًا

ولدنيا بن **العنقاءُ**[1] وابن محرقٍ فأكرمَ بنَا خالًا وأكرمْ بنا ابنما

فقال له النابغة حيث دار بينهما جدلا إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، وكذا كان الدور الأكبر عند مدرسة **زهير بن أبي سلمى** وهي مدرسة كانت تجمع إلى الشعر روايته وهي تبدأ **بأوس بن حجر التميمي**[2].

"... وكانوا إذا احتجوا إلى الرأي في معظم ومهمات الأمور **ميثوا** الكلام في صدورهم وقيدوه على أنفسهم، فإذا قومه الثقاف وأدخل الكبير وقام على الخلاص أبرزوه محككا ومنقحا ومصفى من الأدناس مهذبا"[3]،

منه نستخلص أنهم كانوا لا يقبلون كل ما يرد على خواطرهم ـ **الخُطَّاب ـ الشعراء ـ** إلا بعد نقحه وتجويده حتى تكون أعمالهم جيدة.

ووقف **الجاحظ** في بيانه مرارا ينوه بما كانوا يرسلون في خطابتهم وكلامهم من أسجاع محكمة الرصف.[4]

[1] العنقاء: ثعلبة بن عمر أحد أجداد الأزد والقدماء في اليمن.

[2] ينظر: شوقي ضيف، **البلاغة العربية تطور وتاريخ**، ط09، 1119، دار المعارف، القاهرة ، ص،ص: 11.12.

[3] ينظر: المصدر السابق، الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج2، ص:14.

[4] ينظر: المصدر نفسه، **البلاغة العربية تاريخ وتطور** ، ص،ص: 10.11.

من خلال هذا يبدوا أن الشعراء النابهين من كان يقوم في هذه السوق مقام القاضي الذي تدق حكومته.

ومن هذا كلِّه يتبين لنا أن الشعراء في العصر الجاهلي يقفون عند اختيار الألفاظ والمعاني والصور، لأن معظم أو جل أشعارهم تتميز بالبلاغة من ناحية التشبيه والاستعارات.

وأخذت تنمو هذه العناية بعد ظهور" **الإسلام** ونزل القرآن كتابا سماويا مثيرا، يعجز الخلق ببلاغته ويدل بأسلوبه على منزلته في الفصاحة ومكانته، ويهدى الناس إلى أرفع درجات السلوك وأكرم آداب المثل العليا، ويحضهم على الإيمان بالله وتوحيده ويدعوهم إلى أصول القبائل والآداب والأخلاق.[1]

ومنه نستنتج أن العوامل الأولى في نشأة البلاغة العربية فطرة العرب تتميز بالذوق والبيان فتغرس في نفس المتلقي شعورا جماليا وحيث يزيدها القرآن الكريم أكثر رونقا وجمالا في الدقة وقوة الانبهار.

في العصر العباسي الأول:

في هذا العصر ظهرت طائفتين تميزت كل طائفة بـ

الأول: عنيت بالشعر وباللغة.

الثانية: بالخطابة والمناظرة وإحكام الأدلة ودقة التعبير وروعته، فتطور الشعر والنصر فمرده إلى أن كثيرين من الفرس والموالى أتقنوا العربية وحذقوها، ونذكر في هذا الشأن ابن المقفع إذ أنه اصْطُبِغَ بثقافات أجنبية كثيرة وأخذت أوعية لغته تحمل كل التراب الحضاري القديم، وقد ذكر الرواة عنه سئل عن البلاغة فقال: **البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة.**[2]

[1] لجنة من علماء الأزهر الشريف، **البلاغة العربية**، ط01، 1954م، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، ص: 4.

[2] ينظر: المصدر السابق، شوقي ضيف، **البلاغة العربية (تاريخ وتطور)**، ص:19.

ومنه نستنتج أنه في هذا الصدد تعرض ابن المقفع لماهية البلاغة وتطورها في هذا العصر واعتماده على البراعة والكلام المسجوع.

البلاغة العربية في العصر الأموي:

في هذا العصر شهدت البلاغة العربية تطورا ملحوظا في مفهومها وذلك عندما أعجب معاوية بن أبي سفيان بفصاحة صحار بن عياش العبدي فقال له:" ما البلاغة التي فيكم؟ قال محار، شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا فقال معاوية وما تعدون البلاغة فيكم، قال الإيجاز قال له معاوية وما الإيجاز؟ قال صحار، أن أجيب فلا تبطئ، وأن تقول فلا تخطئ" فيروى من هذه القضية بداية لتبلور مفهوم البلاغة العربية بل إن صحار نطق بالمعنى الاصطلاحي للكلمة قبل غيره، وقد لخص معاني البلاغة في كلمة جامعة وهي الإيجاز، وهذا التعريف مزال معتمد إلى يومنا، وفي ذلك دلالة واضحة على نضج التفكير البلاغي عند العربي وعمق فهمه وشدة ارتباطه بلغته.[1]

هذا ملخص عن البلاغة العربية في العصر الأموي الذي تلا هالعصر العباسي، وكانت أُوْلَ البدايات في هذا العصر وتبلورها في وسط ازدهارها الشعر والنثر استلزم الكلام من ناحية الدقة والأسلوب وحتى الإيجاز.

طوائف التي شاركت في نشأة البلاغة العربية:

إن البلاغة العربية تتسم بالإيجاز منذ العصر الجاهلي، وهذا ما جعل العرب تهتم بالإيجاز بالدرجة الأولى ولم يكن أمر البلاغة محصورا في الإيجاز وحده بل تعداده إلى غير ذلك.

ومن بين الطوائف التي شاركت بنصيب وافر في نشأة البلاغة وتطورها:

- **طائفة المفسرين:** فقد تناولوا آيات القرآن الكريم، وأبرزها ما فيها من جمال فني، وروعة أخاذة حتى نرى علماء البلاغة العربية فيها بعد يستشهدون في قواعدهم البلاغية بأمثلة من القرآن

[1] ينظر: رابح دوب، **البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، ط03، 1999، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ص:17.

سبقهم إليها المفسرون في الاستشهاد بها، إن معرفة ألفاظ القرآن وفهم معانيه وإدراك أغراضه وأبعاده هو الهدف الذي يرمي إليه المفسر، وقد كان التأمل في أسلوب القرآن وتفهم أسراره البيانية دافعا لظهور الدراسات القرآنية، ومدعاة للبحوث البلاغية التي ألفت بغزارة منذ نهاية القرن الثاني الهجري في كتب القرآن وما فيه من معان ومجاز، وبهذا يصبح جليا أن المفسرين، وأصحاب الدراسات القرآنية كان لهم نصيب كبير في نشأة البلاغة والعمل على تطويرها.[1]

– **طائفة المتكلمين**: وذلك الالتحام عقليتهم بالفطر الأجنبي والثقافة اليونانية والنظر في النماذج الحديثة فكان لهذه الطائفة نشاط خصب في البيان العربي، ووضع كثير من مصلحاته، وكذا تسلحت بالفلسفة والمنطق لتناضل بهما عن الدين الإسلامي ولكن الفلسفة والمنطق قد انعكس أثرهما على كل ما يتناولوه، فإذا اعرضوا لأمور أدبية فنية، كأن ينظروا في أي القرآن الكريم مثلا، لا يستطيعون أن يخلعوا أنفسهم من النظرة العقلية التي أخذوا بها أنفسهم، لذا تراهم تطغوا عليهم النظرة العقلية، حيث يجب النظر الأدبي، ويقسون بمقياس الصحة والخطأ والخير والشر.[2]

وعلى الرغم من ذلك كله فإن طائفة المتكلمين، يرجع إليهم الفضل في وضع كثير من مصطلحات البلاغة التي أخذ بها المتأخرون من تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز أو تقسيم علوم البلاغة إلى معان وبيان وبديع.

– **طائفة علماء اللغة**: كان لهم في مد تيار البلاغة ينابيع في دراساتهم في اللغة، وبحثهم في الألفاظ وبيان ما يعتر بها من ثقل أو خفة، وما يطرأ عليها من تنافر أو تلاؤم، وأسباب الثقل والتنافر وعوامل الخفة والتلاؤم، وما يجعل الكلام فصيحا وما يجعله غير فصيح مما أفاد الدراسات البلاغية، ومما لا شك فيه أن البلاغة قد أفادت من الدراسات اللغوية أيما فائدة، سواء في الكلمة الواحدة من حيث حروفها أو في الكلمات مجتمعة من حيث تعادلها في الخفة أو الثقل، لما عرضت

[1] عبد القادر حسين، **المختصر في تاريخ البلاغة**، ط02، 2000، دار غريب، القاهرة، ص:11.
[2] المرجع نفسه، ص:09.

للكلمة من حيث كونها مألوفة مستعملة، أو وحشية بين جمهرة العرب، أو غير ذلك مما يبعدها عن الفصاحة ويزرى بشأنها.[1]

إذن نستخلص أن كل طائفة من هذه الطوائف والتي هي بيئات مختلفة كان لها الحظ الوافر في نشأة وإرساء قواعد البلاغة العربية، كما لا ننسى الدور الهام لكل من الأدباء والشعراء والكتاب وحتى النقاد والمتكلمون والفقهاء والأصوليين فقد قاموا بدورهم في إرساء قواعد البلاغة العربية.

– **طائفة الأصوليين**: أثرى الأصوليون البلاغة ببعض دراساتهم، ولعل دراسته العز بن عبد السلام عن الإيجاز والمجاز **في القرآن** تقف شاهدا فريدا على ما قدم الأصليون في هذا الميدان، فلم يعرف الدرس البلاغي امتداد تاريخه باحثا أخلص نفسه هذا الإخلاص لدرس موضوع بياني مفرد ثم لم يعرف هذا التاريخ بحثا في هذا الموضوع على هذه الدرجة من الضخامة والاستقصاء المتآخي والحصر الدقيق الشامل كل سور القرآن الكريم إلى ما أثرى به ساحة الدرس من أمثلة فقهية، تتضمن فائدتين: الحكم الفقهي والحكم البلاغي.[2]

ومنه نرى أن هذه الطائفة تميزت بالمجاز في القرآن الكريم وكذا الحصر الدقيق.

قد سادت في فترة النشأة تقسيم الدرس البلاغي الحديث المدارس أو الاتجاهات البلاغية السائدة إلى ثلاثة مدارس لكل مدرسة سماتها المميزة و هي كتالي:[3]

1 – أولا: مدرسة المشارقة:

اهتمت الدراسة العقلية (المنطق، النحو، الكلام)، مما ترك آثاره الواضحة في مصنفات أعلام هذه المدرسة وتواليفهم البلاغية، فانصرفت عنايتهم إلى العناية بعلمي المعاني واليان والعلم الأول بوجه خاص، وهو رأى كل من **عبد القاهر، الزمخشري، السكاكي، القز ويني.**

[1] المرجع السابق، عبد القادر حسين، **المختصر في تاريخ البلاغة**، ص:09.

[2] سعد سليمان حمودة، **دروس في البلاغة العربية**، د.ط، 1999، دار المعرفة الجامعية، ص:334.

[3] المرجع السابق، سعد سليمان حمودة، **دروس في البلاغة العربية**، ص:334.

2 – ثانيا: المدرسة المصرية بيئة الوسط

وهي مدرسة غلبا عليها الطابع الأدبي وتحتفل هذه احتفالا ملحوظا بالشاهد البلاغي استكثار منه شرقا وتفسيرا، كما أنها وظفت البيان لخدمة أغراض المدرسة الأدبية، شعرا ونثرا بالإضافة إلى الغرض الأصيل الدراسة وهو الكشف عن البيان والإعجاز القرآني.

ثالثا: مدرسة المغرب والأندلس.

وهي مدرسة يغلب عليها الاتجاه البديعي كما يبدو ذلك واضحا عند ابن رشيق، في القرن الخامس، وحازم القرطاجني في القرن السابع بيد أن هذه المدرسة ذات أثر ضعيف في توجيه دقة الدرس البلاغي، أما أقوى هذه المدرسة أثر فلا شك مدرسة المشارقة ثم تتلوها مدرسة المصريين فالمقاربة، بل إن الدراسة البلاغية الجادة المنظمة تعتمد على جهود المشارقة.[1]

ومنه نستخلص أن تنوع البيئات واختلاف الطوائف نتج عنه ازدهار وتطور بلغتنا العربية، وأن كل مدرسة برع فيها فن من فنون البلاغة من بديع وبيان ومعان أو هم معا.

[1] المرجع السابق، سعد سليمان حمودة، **دروس في البلاغة العربية**، ص:335.

المبحث الثالث: تطورها.

مراحل تطور البلاغة:

لاَ بُدَّ لأي علم كان أن تقعد قواعده وأن تكون نتائج أعمال وجهود وأن يمر بمراحل حتى يتطور ويكتمل كهذا بالنسبة للبلاغة العربية فقد مرت بعدة مراحل ونجملها كالآتي:

أولا: مرحلة النشأة على همش العلوم الأخرى.

لم تنشأ البلاغة العربية مكتملة الأبواب والمباحث، وإنما نشأت ـ شأن كل علم في درايته ـ مجرد أفكار وملاحظات ساذجة متناثرة على هامش العلوم العربية والإسلامية الأخرى التي سبقتها إلى الوجود، وهذه المرحلة كانت مرحلة طبيعية في مراحل حياة البلاغة العربية ، لذا لابد من التعرف على العلوم التي نشأت البلاغة على هامشها وفي كنفها، ومدى ما أسهمت به في احتضان هذا العلم الوليد، ومن بين هذه العلوم التي احتضنت البلاغة العربية في نشأتها ثلاث مجموعات: – العلوم الأدبية، – العلوم اللغوية، – العلوم القرآنية.... وقد لا يبدو أن احتضان مجموعتي" العلوم الأدبية" والعلوم اللغوية لنشأة البلاغة العربية شيء من الغرابة، فالبلاغة ذاتها علم أدبي لغوي يتعامل مع النصوص الأدبية من حيث هي إبداع أولا، ومن حيث هي بناء لغوي ثانيا، وكذا مساهمة العلوم القرآنية في احتضان البلاغة العربية.[1]

وكلُّ هذه العلوم (القرآنية والأدبية واللغوية)، أسهمت بشكل كبير في تطور البلاغة العربية وسيرها على بناء علم قائم بذاته من استنباط وإعجاز وغيرها.

[1] علي عشري زايد، **البلاغة العربية (تاريخها، مصادرها، مناهجها)**، د.ط، 1982، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ص:12.

ثانيا: مرحلة التطور والازدهار

في هذه المرحلة نعرض جهود البلاغين في الدرس البلاغي ونبدأ ب **عبد القاهر لنظرية المعاني**. لعبد القاهر مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، إذ استطاع أن يضع نظرتي علم المعاني والبيان وضعا دقيقا، أما النظرية الأولى فخص بغرضها وتفصيلها كتابه **دلائل الإعجاز**، أما النظرية الثانية فخص بها وبمباحثها كتابه **أسرار البلاغة**، وينبغي أن نلاحظ منذ بداية الأمر أن قسمة البلاغة إلى علوم ثلاثة هي: المعاني، البيان، البديع ولم تكن قد أشرقت حتى عصر عبد القاهر.[1]

وبذلك يرى الكاتب أن موقف عبد القاهر من مدلول كلمة الفصاحة في الكتاب فإنه مضى يؤكد في كثير من صحفه أنها بمعناها المفهوم من الكلام عبد الجابر، والذي يتلقى بالنظم".[2]

نستخلص أن جهود عبد القاهر في تطور البلاغة وازدهارها من خلال الدراسة حول نظريته (البيان والمعاني) التي فصلهما في كتبه الزاخرة.

جهود القاضي عبد الجبار ونظريته في الفصاحة:

اهتم القاضي عبد الجبار بالحديث عن الفصاحة فأفرد لها أكثر من فصل في الجزء السادس عشر من كتابه المغنى، وهو الجزء الخاص بإعجاز القرآن وتحدث عن شروطها وهذا الاهتمام بالفصاحة يعود إلى كونها الوجه الذي ارتآه القاضي معجزا في القرآن الكريم(...).

فالقاضي تحدث عن الفصاحة وعن علاقة النظم بالفصاحة وكل ما يتعلق بالفصاحة من كلام ومعنى وغيرها ...الخ.[3]

[1] المرجع السابق، شوقي طيف، **البلاغة العربية تطور وتاريخ**، ص:120.

[2] المرجع نفسه، ص:121.

[3] أحمد المصري، **المدخل لدراسة البلاغة العربية**، ط01، 2007م، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ص:39.

ومنه استنتجنا نظرية القاضي عبد الجبار أنه خصص لها أكثر من فصل في كتابه وأن الفصاحة لا تكون إلا في القرآن الكريم الذي يعتبر المصدر الأول ولم يغفل عن نظرية النظم التي لها علاقة مع القرآن الكريم.

مرحلة تقنين البلاغة العربية:

نجد في هذه المرحلة **السكاكي** يحدد المعاني تحديدا قائما على اعتبار المتلقي العنصر الأساسي في العملية الإبداعية وكان تتبع خواص الكلم عنده يهدف تطبيقه على ما يقتضيه الحال، وقد ضبط معاقد المعاني بربط مقتضى الحال بالتلقي لأنه: إما خالي الذهن وإما متردد في الحكم، وإما منكر له وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فيجعل غير سائل وقد يجعل المنكر كالمنكر ومقامات الكلام عنده ترتبط بطبيعة المتلقي.[1]

من خلال هذه المرحلة نجد أن الدراسة البلاغية تغفل هذا الوجوه، مع اعتمادها عليه كثيرا في تحديد الأسلوب أو الصياغة، والسكاكي حدد المعاني باعتبار المتلقي هو العنصر الفعال والأساسي في عملية الإبداع.

[1] محمد عبد المطلب، **البلاغة والأسلوبية**، ط01، 1994، مكتبة لبنان ناشرون، ص:240.

أهم مراحل وأطوار البلاغة العربية:

حسب رأي المؤلف **الصعيدي رحمة الله عليه** وهي كالتالي:

الطور الأول:

يبتدئ من عهد الجاحظ (**ت 200هـ، 828م**) إلى عهد عبد القاهر الجرجاني (**ت 471هـ، 1078م**).[1]

الطور الثاني:

من عهد عبد القاهر إلى عهد السكاكي (**ت 262هـ، 1229م**).[2]

الطور الثالث:

من عصر السكاكي إلى عصر النهضة أي من عصور الوسطى إلى العصور الحديثة منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي وبلع أوج ازدهارها في نهاية القرن السادس عشر.[3]

الطور الرابع:

يبتدئ من عصر النهضة إلى وقتنا هذا.

والطور الثالث الذي يبتدئ من عصر السكاكى طغت فيه المسائل الفلسفية على الصبغة الأدبية، كما طغت العلوم النحوية على العبارات التي تخاطب الوجدان وتمس المشاعر والفؤاد،أما

[1] عبد المتعال الصعيدي، **البلاغة العالية (علم المعاني)**، ط02، 1991، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، ص:8.

[2] المرجع نفسه، ص8.

[3] المرجع نفسه، ص8.

الطور الرابع فقد درج فيه علماء البلاغة على الأخذ بطريقة العلوم الرياضية التي سادت منذ عصر النهضة، ومن ذكر البلاغة في مسائل موجزة.[1]

ومنه نستخلص أن كل طور من هذه الأطوار له أثر كبير في رقي البلاغة وازدهارها وبروزها في أحسن صورها.

[1] المرجع السابق، عبد المتعال الصعيدي، **البلاغة العالية (علم المعاني**، ص8.

تمهيد:

يعد القرآن الكريم الآية الأولى للرسول صلى الله عليه وسلم، ودليله الأعظم على نبوته ورسالته وهو يحمل الدليل من ذاته على أنه كلام الله تعالى أوحى به لنبيه صلى الله عليه وسلم.

فالقرآن حياة الأمة، لا تبتعد عنه لحظة إلا وتبتعد عنها معالم الحياة، وإن حياة لغتنا العربية في هذا الكتاب، ولا يعرف التاريخ لغة اتصلت حياتها بكتاب مقدس كما تتصل حياة العربية بالقرآن.[1]

لذا كان البحث في كتاب الله المعجز ودراسة علومه، لهو خير ما يبحث فيه طالب، ويعتز به **قال تعالى:"وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ "**[2]

ومنه اشتغل كذلك علماء الله بدراسة القرآن الكريم وقراءته من حيث التوظيف والتوجيه والتفسير، ذكر **السيوطي** في الإتقان ما روي عن ابن عباس– رضي الله عنه– قوله:" الشعر ديوان العرب فإذ اخفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغه العرب، رجعنا إلى ديوانهم فالتمسنا ذلك منه" [3]، هذا ما يدل على ارتباط القرآن بلغة العرب.

[1] عبد الراجحي، **اللهجات العربية في القرآن الكريم**، ط1،2008، دار المسيرة، ص:17.

[2] سورة فصلت، الآية42.

[3] محمد عمير، **الفكر النحوي (في توجيه القراءات القرآنية حتى القرن 4هـ)**، ط1، 2017، دار الخلدونية، ص:05.

المبحث الأول: الإعجاز القرآني (المعجزة، الإعجاز، مجاز القرآن)

1) المعجزة: في اللغة والاصطلاح

في اللغة:

العجز لغة الضعف، وعجز عن الشيء عجزا، فهو عاجز أي ضعيف.[1]

ومنه جاء في القرآن الكريم حكاية عن ابن أدم حيث قتل أخاه **قال تعالى:"** **قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هُذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ** "[2] .

ومعجزة التي ما أعجز به الخصم عند التحدي، [3] بمعنى ما أضعف الخصم عنه التحدي وأنكسه وغلبه فيما أراد.

فالإعجاز مصدر الفعل الماضي الرباعي: أعجز-يعجز-إعجازا، والجذر الثلاثي للكلمة هو "عجز": عَجَزَ-يَعْجِزُ-عَجْزاً فهو عاجِزل،فهنا عين الكلمة **الجيم** في الفعل الماضي تقرأ مثله، بالفتح والكسر والضم، وفي كل حركة لها معنى، **بالفتح**: تقول عَجَزَ-يَعْجِزُ- من باب، ضَرَبَ-يضرب، والمعنى: ضعف عن الشيء، ولم يقدر عليه.[4]

بناءا على ما تقدم فإنه يمكن القول بأن لفظة المعجزة عند اللغويين تدل على العجز عن إتيان بشيء واتفاق العلماء اللغويين في مادة عَجَزَ.

بالكسر: تقول: عَجِزَ-يَعْجَزُ-عَجْزاً، من باب: شَرَبَ-يشربُ والمعنى عظمت عجيزته، وكبرت مؤخرته.

---

[1] أحمد فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، د.ط، 1979، ج04، دار الفكر، ص:232.

[2] سورة المائدة، الآية31.

[3] الفيروز آبادي، **قاموس المحيط**، مجمع اللغة العربية، تحقيق أحمد حسن الزيات وآخرون، المكتبة الإسلامية، د.ت، إسطنبول تركيا، ص:585.

[4] صلاح عبد الفتاح الخالدي، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، ط1، 2000، دار عمار، ص:12.

بالضم: تقول: عَجُزَ-يَعْجُزُ-عجوزاً، من باب: كرم- يكرم، والمعنى صار عجوزا ضعيفا عاجزا.

وهذه المعاني متكاملة متوافقة، وليست متعارضة أو متناقصة وهي لا تخرج أساس معنى العجز في اللغة.[1]

ابن فارس (393هـ) والأصلان لمعنى العجز:

قال الإمام ابن فارس:" **العين والجيم والزاي** أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء، فالأول: عجز من الشيء، يعجز-عجزا، فهو عاجز، أي ضعيف ويقال: أعجزني فلان: إذ أعجزت على طلبه وإدراكه، يقولون: عجز بفتح الجيم: قال ثعلب، سمعت ابن الأعرابي يقول لا يقال عجز إلا إذا عظمت عجيزته.

ومن باب: العجوز، وهي المرأة الشيخة ويقال فلان عاجز فلانا إذا ذهب فلم يوصل إليه".[2]

الراغب الأصفهاني يحدد معنى العجز

"في كتابه **الفذ مفردات ألفاظ القرآن** عن العجز، عجز الإنسان: مؤخره، وبه شبه مؤخر غيره قال تعالى:" **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ**"[3]

وَالعَجْزُ أصله التأخر عن الشيء وحصوله عن عجز الأمر أي مؤخرة وصار في التعارف اسما للقصور عن فعل شيء وهو القدرة أعجز فلانا وعجزته جعلته عاجزا".[4]

يتضح مما سبق أن للمعجزة عدة معانٍ في المعاجم اللغوية منها الضعف والعجز وغيرها وتعددها لدى العلماء العرب، واتفاقهم في مادة عجز أي الضعف.

---

[1] المرجع السابق، عبد الفتاح خالدي، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، ص،ص:14،13.

[2] المصدر السابق، أحمد فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ص،ص: 738.739.

[3] سورة القمر، الآية20.

[4] الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**: تحقيق صفوان عدنان دواردي، ط4، 2009، دار القلم، مجلد واحد، ص:547.

المعجزة في الاصطلاح:

هي ما قصد به إظهار صدق من ادعى على أنه رسول، أو في أمر خارق للعادة يظهره الله على يد من يدعي النبوة.[1]

شروطها: ذكر العلماء بعض الشروط يجب تحققها:[2]

1/ أن تكون المعجزة فعلا لله تبارك ذلكم لأن المعجزة تصديق للرسول الذي أرسله الله، فلا بد أن تكون المعجزة أية من الله.

2/ أن يكون هذا الأمر خارقا للعادة، بيان ذلك أن الحياة كما نعلم ارتبطت فيها الحوادث بأسبابها.

3/ أن تكون معارضتها غير ممكنة، بمعنى أن الناس لا يقدرون أن يأتوا بمثلها.

4/ أن تكون هذه المعجزة ظهرت على يد من ادعى النبوة فلو أتى غير من أدعى النبوة بها فهو خارق للعادة.

اختصرنا بعض الشروط التي ذكرها العلماء رحمهم الله واستنتجنا أنه لا تتوفر معجزة بدون شروط وأنها أمر خارق للعادة واتفاق جل العلماء عليها وهو بيان صدق النبوة المحمدية.

ويعرف علماء الكلام المعجزة في كتبهم بأنها **أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة،** ويملئون صفات في مناقشة مدلولها وشروطها، مثال **القرطبي** في **كتابه** الجامع لأحكام القرآن يذكر فيها شروط لا يصح من دونها لحادث أن يمسي معجزة، وهي:[3]

1)- هذا الحادث ينبغي أن يكون مما لا يستطيعه إلا الله.

2)- يجب أن يخرج على قوانين الطبيعة.

[1] فضل حسان عباس، **إعجاز القرآن**، ط2، 1997، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ص:09.
[2] المرجع نفسه، ص:10.
[3] المرجع نفسه، ص:09.

3)- ينبغي أن ينبئ عنه الحكيم قبل أن يقع، بأن كذا وكذا سيحصل.

في تعريف أحمد العمري في كتابه المباحث البلاغية المعنى الاصطلاحي للمعجزة "خرق لنواميس الكون أو لقوانين البشر يعطيها الله سبحانه وتعالى لرسله وأنبيائه ليؤكد للناس أنهم رسله، ولا تكون المعجزة إلا بعد ادعاء النبوة أما إذا كانت قبل النبوة فلا تكون إلا إرهاصا".[1]

يتضح ما تقدم في التعريف الاصطلاحي للفظة المعجزة أن هناك عامل مشترك بين المفاهيم والتي تجمع بأن المعجزة أمرٌ خارق للعادة.

- **معنى "إعجاز القرآن"**

مركب إضافي مكون من كلمتين "إعجاز" و"القرآن" وهذا المركب الإضافي في خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هذا إعجاز القرآن.

"القرآن" الكلمة الثانية في هذا المركب الراجح أنه مشتق من القراءة والجذر الثلاثي للكلمة هو "قرء" نقول: قرأ، يقرأ، قرءاً، وقرنا.

والراجح في تعريف القرآن هو كتاب الله، المنزل على محمد **صلى الله عليه وسلم** ، المتعبد بتلاوته،[2] والهدف الذي نزل من أجله هو **قوله تعالى:" هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ"**[3]

وإعجاز القرآن: أمر خارق للعادة لم يستطع أحد معارضته برغم تصدي الناس له".[4]

[1] نعمان شعبان علوان، **مقدمة في الإعجاز القرآني**، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الثامن عشر، العدد الأول، ص:423.

[2] المرجع السابق،عبد الفتّاح الخالدي، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره رباني**، ص:12.

[3] سورة البقرة، الآية 97.

[4] نعيم الحمصي، **فكرة إعجاز القرآن**، ط02، 1970، مؤسسة الرسالة، ص:09.

وفي معنى آخر:

"هو إظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزاته الخالدة وهي القرآن وعجز الأجيال بعدهم".[1]

وفي تعريف آخر للدكتور سعيد رمضان محمد يقول في بيان معنى معجز:" أجمع عامة الباحثين من علماء العربية والتشريع والفلسفة والعرف المختلفة أن القرآن معجز فما معنى معجز؟؟ لدينا في الجواب هذا السؤال تعريفان للإعجاز، أحدهما هو المعتمد لدى جمهور العلماء الباحثين والثاني تفرد به أبو إسحاق النظام 231هـ اللغوي المعروف فأما التعريف الأول فهو أن القرآن قد سما في علوه إلى شأن بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإثبات بمثله سواء كان هذا العلو في بلاغته أو شريعته أو مغيباته، أما التعريف الثاني فهو أن القرآن كتاب صرف الله قدرات عباد وسلب همهم وحبس ألسنتهم عن الإثبات بمثله ..."[2]

وهذا معناه أن القرآن الكريم دل بما فيه من بيان على أنه من عند الله وثبت عجز الناس أن يأتوا بمثله وهذا معناه أنه معجزا لهم من حيث العجز والضعف وهو قد سبقهم في إثبات النبوة.

تعريف الإعجاز:

- **الإعجاز لغة:**

قال ابن منظور:" العجز نقيض الحزم والعجز: الضعف والمعجزة بفتح الجيم وكسرها: مفعلة هنا العجز عدم القدرة على الحديث كل شيء بقدر حتى العجز والكيس – وقيل أراد بالعجز ترك ما يجب فعله بالتسويف"[3]، ولذا فالإعجاز أن تقع أمر التحدي بالشيء عاجزا عن الإتيان به.

[1] مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ط15، 1985، مؤسسة الرسالة، ص:259.

[2] محمد سعيد رمضان البوطي، **من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله**، ط05، 1970، مطبعة فرابي، دمشق، ص،ص:126،125.

[3] لإبن منظور، **لسان العرب**، د.ط، ج4، 1997،ص:263.

يتضح من التعريفات اللغوية لمعنى الإعجاز القرآني أنه أمر يعجز البشر الإتيان به واتفاق جل العلماء عليه فقد ركزوا على مصدر الكلمة وطرق الكشف عنها.

الإعجاز اصطلاحا:

تعريف الجرجاني في كتابه **التعريفات:**" أن يؤدي المعنى بطريقة هو أبلغ من جميع ما عداه من طرق"[1].

وقد عرفه مصطفى صادق الرافعي بقوله "وإنما الإعجاز شيئان:

- ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته.
- استمرار هذا الضعف على التراخي الزمن وتقدمه، فكان العالم كله في العجز: إنسان واحد، ليس له غير مدنه المحدود بالغة ما بلغت.[2]

والمعجزة كذلك اصطلاحها هي ما قصد به إظهار صدق من أدعى أنه رسول الله أو هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد من يدعي النبوة.[3]

قال الفراهيدي(170هـ) في كتاب العين "عجز-أعجزني فلان إذا أعجزته عن طلبه وإدراكه والعجز نقيض الحزم، وعجز يعجز غهو عاجز: ضعيف".[4]

بناءً على ما تقدم من التعريف الاصطلاحي، أن لفظة الإعجاز هو تأدية المعنى بصورة أبلغ وبليغة وكلام كله رونقا وجمالا، وأن الإعجاز في اللغة والاصطلاح متقاربان وذلك في بعض المعاني كالضعف والعجز وغيرها.

[1] صلاح عبد الفتاح الخالدي، **البيان في إعجاز القرآن**، ط2، 1991، دار عمان، الأردن، ص:31.

[2] مصطفى صادق الرافعي، **إعجاز القرآن**، ط09، 1973، دار الكتاب العربي، بيروت، ص:139.

[3] المصدر السابق، فضل حسن عباس، وآخرون، **إعجاز القرآن**، ص:09.

[4] الخليل بن أحمد الفراهدي، **كتاب العين**، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، د.ط، د.ت، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص:125.

قضية الإعجاز القرآني:

إنَّ إعجاز القرآن حقيقة قاطعة، وبدهية مقررة وهذا الإعجاز القرآني وسيلة إلى هدف عظيم، وغاية سامية وليس هدفا بحد ذاته والهدف من دراسة إعجاز القرآن هو إثبات مصدر القرآن الرباني وأنه كلام الله سبحانه وتعالى، وليس كلام محمد صلى الله عليه وسلم. ومنه جاء في كتاب نعيم الحمصي "كان المسلمون في عهد النبي وبعده من الخلفاء الراشدين ولاسيما زمان أبي بكر وعمر، لا يطلعون النظر في دراسة مسائل الدين ولا يثرون قضاياه المتشابهة التي تبعث على الاختلاف في الرأي، كالقول بالجبر أو الاختيار ومشاكل الصفات الإلهية والذات، وذلك لضعف ثقافتهم في بادئ أمرهم وانعزالهم وعزوفهم عن غيرهم من الأمم وعملا بالحديث الشريف وكانوا ينظرون إلى القرآن نظرة تسليم ورضى على أنه كتابهم الديني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبأنهم يجب أن يرجعوا إليه في عامة أمورهم الدينية والمعنوية وكل ما يختلفون فيه من قضايا وأراء تعرض لهم في حياتهم، ويرونه المثال الأعلى في كل ما يحز بهم ومنه القوة البيان.[1]

ومنه كان للقرآن الكريم أثره البعيد المعنى في رقي البلاغة الفنية في العصر الإسلامي، واشتهار العرب بالفصاحة والبيان وقدرتهم على التميز بين الكلامين كلام بليغ من صنع البشر وكلام معجز من عند الله.

فلمَّا قاموا بالفتوح في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، فاختلطوا بسكان البلاد المفتتحة_أبا المسلمون_ وكانوا أكثر منهم مدنية وثقافة ثم قامت الفتن السياسية في زمن عثمان وعلي، ورفقتها المناقشات السياسية والعصبية، فرجع المسلمون إلى القرآن ليحكم بينهم واضطروا إلى تفسير آياته، وانقلب الخلاف السياسي إلى خلاف مذهبي، يرجع إلى الفكر في رسم خطوطه الأساسية، فظهرت

[1] المرجع السابق، نعيم الحمصي، **فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى وقتنا الحاضر**، ص:35.

فرقة الشيعة في طورها الأول، وهو مناصرة على خصومة الأمويين وفرقة الخوارج التي نشأت بعد قضية التحكيم بين علي ومعاوية.[1]

والحديث يطول في المجال بعد امتزاج المسلمين بشعوب البلاد التي كانت أكثر حضارة منهم وهي شعوب متعددة المذاهب. واختلاف المذاهب والآراء اللغوية والنحوية وبين الفرق الإسلامية منه المعتزلة، التي ظهرت بظهورها أول كلام علمي منظم في الإعجاز، وذلك في منتصف القرن **الثاني للهجرة** لأن نشوء فرقة المعتزلة كان مع نشوء مسألة خلق وتناولت مسألة **الإعجاز**.وظهر علم الكلام وبدأ الحديث عن **مسألة الإعجاز** في القرن **3هـ** وقد ألف فيه كتاب "الدين والدولة" ومن تكلم عن هذه المسألة **أبو الحسن الأشعري**(**224هـ**) وأشهر المتكلمين الذين بعثوا عن مسألة الإعجاز **محمد بن زيد الواسطي 302هـ** وغيرهم ...[2]

لذا عند تتبعنا لما جاء في قضية الإعجاز، قد مضى على بحثنا أكثر اثنتي عشرة قرنا هجريا وسيبقى يبحث في القرون التالية حتى قيام الساعة، فألف الكثير من الكتب والرسائل في قضية إعجاز القرآن قدمت فيها كثير من الآراء والنظرات والتحليلات.[3]

ومنه نستخلص أن إعجاز القرآن الوجه الأكبر في لغتنا وبلاغتنا والتي دفعت العلماء إلى بذل الغالي والرخيص لدراسة أساليب القرآن.

[1] المرجع السابق، نعيم الحمصي، **فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى وقتنا الحاضر**، ص:36.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص،ص:39.41.

[3] ينظر: المرجع السابق، صلاح عبد الفتاح خالدي، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، ص:82.

أشهر من تحدثوا عن قضية الإعجاز القرآني في كل قرن:

ذكر الكاتب نعيم الحمصى في كتابه فكرة إعجاز القرآن أهم من تحدث عن الإعجاز القرآني:

1/ القرن الثالث: تكلم عن الإعجاز *إبراهيم بن سيار النظام* المعتزلي، وقال: إن القرن معجز بالصرفة أي أن الله صرف الكفار عن معارضة القرآن، فرد عليه تلميذه المعتزلي الجاحظ، وقال بالإعجاز البياني وقيل: إن الجاحظ ألف كتابا سماه *نظم القرآن*[1]

2/ القرن الرابع: أخذ طابع التعقيد، التنظيم، الترتيب ومنهم: الخطابي، الرماني، حيث ألف كل منها رسالة فيه، أبو حسن الأشعري، الفارسي بندار والطبري أبو هلال العسكري.[2]

3/ القرن الخامس: استمرار الدراسة الأصلية حول الإعجاز: منهم القاضي عبد الجبار الهمذاني، البقلاني، الجرجاني الذين تحدثوا عن الإعجاز القرآني وقضاياه.[3]

4/ القرن السادس: تكلم عنه كل من: أبي حامد العزالي، ابن عطية الأندلسي، الطبرسي، الشيعي، القاصي عباس.

5/ القرن السابع: تحدث عنه فخر الدين الرازي، السكاكى، الأمدي، الطوسي، القرطاجي، البيضاوي.[4]

6/ القرن الثامن: ابن الزملائي، ابن تيمية، ابن القيم، ابن كثير، القزويني، العلوي، الشاطي، الزركشي.[5]

---

[1] المرجع السابق، صلاح عبد الفتاح خالدي، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني** ، ص:83.

[2] المرجع نفسه، ص:84.

[3] المرجع نفسه ، ص:84.

[4] المرجع نفسه، ص:84.

[5] المرجع نفسه، ص:84.

7/ القرن التاسع والعاشر: تكلم في هذه القرنين كل من ابن خلدون، الفيروز ابادي، المرتكشي، السيوطي، الشربيني، زكريا الأنصاري وابن كمال باشا.[1]

8/ القرن الحادي عشر والثاني عشر: عبد الرحيم السيلكوتي، الشهاب الخفاجي، أحمد الكواكبي، شمس الدين الضرير، سلمان الشافعي.[2]

9/ القرن الثالث عشر: الشوكاني، الألوسي، صديق خان.[3]

10/ القرن الرابع عشر: في هذا العصر شهد نهضة علمية كبيرة، ظهر فيها علماء وأدباء تحدثوا عن الإعجاز حديثا جيدا وأضافوا إضافات جديدة بخصوص قضية الإعجاز.[4]

فانقسم العلماء إلى قسمين:

القسم الأول: دعاة الإعجاز البياني من بينهم: مصطفى صادق الرافعي، الدكتور محمد عبد الله دراز، سيد قطب ... وغيرهم.

القسم الثاني: دعاة الإعجاز العلمي من أشهرهم: عبد الله فكري وعلي فكري، طنطاوي، نوفل وجمال الدين الفندي.[5]

يتضح مما قدمناه أن قضية الإعجاز القرآني من أولى القضايا التي اتجه العلماء إلى دراستها وبذلوا جهودا هائلة في تحقيقها والكشف عن أدلتها وتتبع تاريخها وذلك من خلال استنباطهم ورصدهم لأهم ما جاء في تلك القرون وكان استقراؤنا هو في القرن الثالث من العلماء من يقول بالصرفة باعتبارها وجها من وجوه الإعجاز القرآني وكونها دالة على القوة لأنها أمر خارج عن العادة، وفي

[1] المرجع السابق، صلاح عبد الفتاح خالدي، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني** ، ص:84.
[2] المرجع نفسه، ص:84.
[3] المرجع نفسه، ص:84.
[4] المرجع نفسه ، ص:84.
[5] ينظر: المرجع نفسه، ص،ص:84.85.

القرنين الرابع والخامس هي مرحلة التأسيس لأفكار و آراء جديدة وأصيلة ومنه كذلك القرن الخامس وما تلاه شهدت توسع كبير في الدراسة وبيان وجوهه.

المبحث الثاني: مظاهر الإعجاز

تناولنا في هذا المبحث أهم مظاهر الإعجاز في نظم القرآن الذي يختلف في نظمه عن النثر والشعر، فهو يحدد جمال الكلام ويتجلى في النصوص القرآنية، ومن مظاهر الإعجاز القرآني ما يلي:

المظهر الأول:

– الخصائص المتعلقة بأسلوبه:

إن كل أراء العلماء تدور حول فكرة واحدة وهي أن القرآن الكريم معجز بأسلوبه الفريد ونظمه البديع فهو فوق طاقة البشر، فأسلوب يتميز بمجموعة من الخصائص:

1. أن هذا الأسلوب يجري عن نسق بديع خارج عن المعروف من نظام جميع كلام العرب مثال قوله تعالى "**حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ، قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**"[1]، بتأليفها العجيب ونظمها البديع حينما سمع **عتبة بن أبي ربيعة** استولت على أحاسيسه ومشاعره.
2. هي أن التعبير القرآني يظل جاريا على نسق واحد من السمو في جمال اللفظ وعمَّق المعنى ودقة التركيب ورقة الصياغة وروعة التعبير.[2]
3. أن معانيه مصوَّغة بحيث يصلح أن يخطب بها الناس على اختلاف مداركهم، وثقافاتهم وعلى تباعد أزمنتهم وبلدانهم مع تطور علومهم واكتشافاتهم [3]، مثل **قوله تعالى:" تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ".**[4]

---

[1] سورة فصلت، الآية02.

[2] ينظر: محمود السيد شيخوان، **الإعجاز في نظم القرآن**، ط01، 1978، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص،ص: 66.68.

[3] سورة الفرقان، الآية 61.

[4] المرجع نفسه، ص:70.

4. **ظاهرة التكرر:** تكرر بعض الألفاظ والجمل وتكرار بعض المعاني، كالأقاصيص والأخبار وتنوع في أسلوب القرآني ففي كل مرة يلبس ثوبا جديدا من الأساليب وطريقة تصوير العرض.[1]

المظهر الثاني:

– **المفردة القرآنية:** تتميز كلمات القرآن الكريم التي تتألف منها الجمل بعدة ميزات:

1. جمال وقوعها في السمع.
2. اتساقها الكامل مع المعنى.
3. اتساع دلالتها لمل لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات.[2]

ولهذا فإن نظم القرآن الكريم يتجلى في التركيب الجيد لما فيها من فصاحة وجمال وبيان.

المظهر الثالث:

– **الجمع بين قوة الإقناع وبراعة الجمال:**

يمتاز الأسلوب القرآني عموما ببراعة الجمال الفني تصويرا وتشويقا ونظما، مع ما يحمله من قوة الإقناع والتأثير. لا شك أن جانب الإقناع أكثر ما يتجلى في جانب الدعوة والحوار والجدال، وهو في ذلك لا ينقص عن مرتبة الإعجاز في جمعه لعناصر الجمال الفني للكلام البليغ.[3]

المظهر الرابع:

– **الإعجاز اللغوي:** إن القرآن الكريم التي عجزت العرب عن معارضته لم يخرج عن سنن كلامهم ألفاظا وحروفا. وتركيبا وأسلوبا. ولكنه في اتساق حروفه وطلاوة عبارته وحلاوة أسلوبه وجرس آياته

[1] المرجع السابق، محمود السيد شيخوان، **الإعجاز في نظم القرآن**، ص:83.

[2] المرجع نفسه، ص:88.

[3] أحمد سليمان البشايرة، **مظاهر الإعجاز في الحوار القرآني**، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج2، العدد3، 2006، ص:164.

ومراعاة مقتضيات الحال في ألوان البيان في الجمل الاسمية والفعلية وفي النفي والإثبات_الذكر والحذف-التعريف والتنكير- الإيجاز والغموض والخصوص.[1]

ومنه نستخلص أن الإعجاز اللغوي أحد وجوه الإعجاز في نظم القرآن الكريم لذلك فهو معجز بألفاظه وأسلوبه وبيانه ونظمه، ويتجلى إعجازه في النظام الصوتي بجرس حروفه وكلماته وآياته.

المظهر الخامس:

- الإعجاز البلاغي: يعد هذا المظهر أهم مظاهر الإعجاز في نظم القرآن الكريم فهو تأدية المعنى بطريقة أبلغ من جميع النواحي. أي أن إعجازه صفة عالية في الكلام خارقة تفوق ما تحتها من درجات ومرتبة فضلى لا ترتقي إليها المراتب، وهذه مصداق لرسول الله صلى الله عليه وسلم :"فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه" وأدرك العرب بفطرتهم هذا الفضل الكبير.[2]

ومنه يقصد بالإعجاز البلاغي التأثير الكثير الواقع في النفس، وهو تحدي العرب عند الإتيان به وعجزهم في نفس الوقت بذلك، فيتجلى الارتباط الوثيق بين **الإعجاز والنظم والبلاغة**، حيث لا تفصل الكلمة صاحبتها المفردة في قاموس اللغة من حيث الدلالة على كل معناه، فإذا ما نظمت الكلمة في جملة صارت الدلالة على نصيبها من المعنى، وإن الأسلوب قد يروعك ويبهرك إذا أخذت مفرداته كل مفرد على حد فقد لا تجد فيه روعة ولكن عندما أخذت هذه المفردات في سلك فلاءمت ما قبلها وارتبطت بما يعدها واكتسبت جمالا ورونقا.[3] في **قوله تعالى:"يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًالِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ".**[4]

---

[1] عبد الله بن عبد العزيز المصلح، عبد الجواد الصاوي، **الإعجاز العلمي في القرآن والسنة "منهج التدريس الجامعي"** ، ط1، 2008، دار حياد للنشر والتوزيع جدة، ص،ص:24.25.

[2] ينظر: محمد كريم الكواز، **الأسلوب في إعجاز البلاغي للقرآن الكريم**، ط1، 1426، جمعية الدعوى الإسلامية العالمية، ص،ص:22.27.

[3] أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دط، 2005، نهضة مصر، القاهرة، ص:49.

[4] سورة هود، الآية 44.

ومنه يتبين أن الإعجاز البلاغي يعد الوجه الأكبر في القرآن الكريم وعلاقته به تكمن في البيان والبراعة ودقة الألفاظ وأن كل مفردة داخل أو خارج النص لها بديع جمالي وتأثيرها في النفس كبير.

لقد ذكر عبد القاهر الجرجاني الذي ربط الإعجاز القرآني بالنظم حيث رأى أن القرآن الكريم معجز بنظمه أي توخي معاني النحو وأحكامه وقد لخص رأيه في خاتمة كتابه إذ يقول :" ما أظن بك أيها القارئ لكتابنا إن كنت وفيته حقه من النظر، وتدبره حق التدبر إلا أنك قد علمت علما (...) أن ليس النظم شيئا إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم وأنك قد تبينت أنه إذا رفع معاني النحو وأحكامه مما بين الكلم حتى لا ترد فيها في جملة ولا تفصيل".[1]

يتضح أن الجرجاني يوضح ويكشف عن إعجاز القرآن الكريم بنظمه وتأليفه وأن النظم هو توخي معاني النحو وبهذا صار بنظرية النظم وقعد لها.

وقد أوضح عبد القاهر جوانب الإعجاز فقال :"أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظة، وبدائع راعتهم من مبادئ أية ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها"[2].

هنا الجرجاني أوضح أن القرآن الكريم معجز بألفاظه وبيانه في نظمه من بديع وبراعة وجمال وتصوير للمعنى.

[1] ينظر: حاتم الضامن، **نظرية النظم تاريخ وتطور**، دط، 1979، دار الحرية ، بغداد، ص:94.

[2] المرجع نفسه، ص،ص: 95.96.

المظهر السادس:

– الجزالة التي لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثلها.

هي مظهر من مظاهر الإعجاز، وهو ذلك الإيجاز الرائع والجزالة التي ليس بإمكان مخلوق من البشر أن يحيط بها، أو يأتي بمثلها لأنها فوق الطاقة البشرية والقدرة الإنسانية. فالجزالة والإيجاز في أسلوب القرآن أفصح من نطق بالضاد الذي فيه بلاغة وبيان.[1]

في صفوة القول يتضح أن مظاهر الإعجاز القرآني في نظمه، أن النصوص القرآنية تحتوي مدلولات متنوعة ومتناسقة ومترابطة وأن ألفاظه ومفرداته لها معان تجذب القارئ أو السامع إلى بديع نظمه بتصويره الفني وكلامه البليغ، وأن كل مظهر من هذه المظاهر تتميز بصفات: من جزالة الألفاظ ودقة الأسلوب وجمال المفردات وقوة الإقناع.

اختلفت أراء بعض العلماء في وجوه الإعجاز القرآني بعد إجماعهم على إعجازه فيرى بعضهم أن وجه الإعجاز في القرآن هو اشتمل عليه من النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مطالعة ومقاطعة وفواصله، ويرى البعض الآخر أن وجه الإعجاز إنما يكمن في فصاحته وبلاغة عبارته وجودة سبكه إذ هو في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد، والبعض الآخر يرى أن الإعجاز في خلوه من التناقض واشتماله على المعاني الدقيقة والأمور الغيبية التي ليست بمقدور البشر ولا في استطاعتهم معرفتها كما أنه سليم من التناقض والتعارض ، وفريق آخر من يقول: إن وجه الإعجاز ما تضمنه القرآن من المزايا الظاهرة والبدائع الرائقة في الفواتح والمقاصد، والخواتيم في كل سور والمعول عندهم ما يلي:

- الفصاحة في الألفاظ.
- البلاغة في المعاني.
- صور النظم البديع.

[1] ينظر: محمد علي الصابوني، **التبيان في علوم القرآن**، ط3، 1388، دار حسان للنشر والتوزيع، إيران، ص، ص:114.116.

كما تندرج ضمن الدائرة البيانية التي امتاز بها القرآن الكريم في نظمه.[1]

فهذا التباين يفضي إلى أن هذا البيان معجز في تأليفه بتجاوزه الإلهي كلام العرب شكلا ومضمونا، لأنهم لم يعتادوا هذا الضرب من الكلام، رغم فصاحتهم وبراعتهم في ضروب القول المختلفة.

[1] المرجع السابق، محمد علي الصابوني، **التبيان في علوم القرآن**، ص:104.

المبحث الثالث: آثار الإعجاز في الدراسات البلاغية.

تعد قضية الإعجاز القرآني الوجه الأكبر لبلاغتنا العربية في أطورها الثلاثة نشأة ونموا وازدهارا، ومنه قال **إبراهيم العلوى اليمني:"** وإن كل من علم البلاغة وعلم الفصاحة يأخذان من العلوم الأدبية صفوها، ويقعان منها مكان الواسطة من عقدها فإذ تمهدت هذه القاعدة فنقول العلم المعبر عنه بعلم البيان هو علم الفصاحة، وعلم المعاني هو المعبر عنه بعلم البلاغة. وهو أجل العلوم الأدبية قدرا ومكانا وأعلاها منزلة وأكبرها شأنا لأنه علم يستولي على استخراج أسرار البلاغة من معادنها هذه توجد محاسن النكت المودعة في أصدافها ومكامنها وهو الغاية التي ينتهي إليها فكر النظار والضالة التي بطلبها (...) ، وعليه التعويل في الاطلاع على حقائق الإعجاز في القرآن وإليه الاستناد عند المسابقة في الخصل والرهان، ومنه تستثار المعاني الدقيقة على ممر الدهور وتخرم الأزمان. ظهر مما ذكرناه أن موقع علم البيان من العلوم الأدبية موقع الإنسان من سواد الأحداق، ومن ثم لم يستقل بدركه وإحرازه أسرار الأكل سباق".[1]

وصفوة هذا القول أن العلوم الأدبية هي أمُّ العلوم؛ من فصاحة وبلاغة ومدى تأثير القرآن الكريم على هذه العلوم باستخراج أسرارها وكشف جوهرها.

جاء القرآن في الرابع الهجري ولا تزال قضية الإعجاز القرآني تدفع علماء إلى استنباط المحسنات البديعية وتعميقها لتتوسل بذلك إلى تعليل وجه الإعجاز البلاغي ليدرك الناس كيف ابلغ القرآن حد الإعجاز،وقد استفاد علماء هذا القرن بجهود السابقين حول الدفاع عن النظم القرآني وخاصة **ابن المعتز** فظهرت حركة النقد المنظم وبلغت درجة سامية.[2]

[1] يحي بن حمزة بن علي العلوي، **الطرز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، د.ط، 1333،ج1، دار الكتب الخديوية، ص،ص:22.23.

[2] عبد العزيز عبد المعطي عرفة، **قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة**، ط1، 1980، دار رفع المساهم، عالم الكتب، بيروت، ص:299.

ومنه نستنتج أثر قضية الإعجاز القرآني في الدراسة البلاغية في المحافظة على القرآن كونه المصدر الأول وكون الدراسة البلاغية كشف لروعة ودقة الألفاظ الموجودة في الكتاب الحكيم ولا يفوتنا أن القرآن الكريم معجزة ربانية ودلالة على صدق النبيَّ صلى الله عليه وسلَّمَ.

فنزول القرآن الكريم كان لغرضين وهما أنه معجزة ودلالة لصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، لذا فالبلاغة العربية واللغة العربية بصفة عامة تقوم على هذين الغرضين.

وبهذا كان الذوق الأدبي السليم والطبع العربي الأصيل يقومان بتحقيق هذين الغرضين إبان صدر الإسلام، ولكن ما كاد هذا العصر يشرف على نهايته، ويجيء القرن الثاني الهجري حتى أخذ الذوق العربي ينحرف، وبدأت الملكات تضعف وبدأ بالتالي الإحساس بالبلاغة الكلام يقل خاصة عند العرب الذين خالطوا الأعاجم أو بعدوا عن مواطن اللغة الأصلي، أو عند طبعة الموالي الذين أخذوا العربية تعلما لا سليقة وبعد نهاية حروب الردة التي حدثت في عهد الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه ثم للإسلام السيادة على الجزيرة العربية كلها وبمقتضى عموم الرسالة الإسلامية عمل المسلمون على نشر الدين، ومن خلال هذا فتحت العراق وأنشأ العرب مدينة البصرة والكوفة وغيرها.[1]

يتَّضِحُ مما تقدم أن القرآن فتح مجالا واسعا في اختلاف وظهور الذوق الأدبي والكشف عن أسرار اللغة العربية.

إن اختلاط العرب بأمم أخرى وفتحها لدول فتح لهم المجال لتوسع في دراساتهم وهذا بفضل كتاب الحكيم، وظهور أجناس أدبية جديدة.

لم تكن تدخل تلك البلاد في دولة الإسلام حتى أخذت عنصرها المختلفة تمتزج بالعنصر العربي امتزاجا قويا وأصبحنا نرى أمة عربية تتألف من أجناس مختلفة، وقد مضت هذه الأجناس تنصهر في وعاء العربي حتى غدت كأنها حسن واحد وقوي هذا الامتزاج واشتد ذلك الانصهار بقيام الدولة

[1] المصدر السابق، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، **قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة**، ص:83.

العباسية في أواخر النصف الأول من القرن الثاني الهجري، وتمتع غير العرب بمبدأ الت سروية الذي قرره الإسلام واستطاعوا أن يصلوا إلى أعلى المراتب المختلفة للدولة.[1]

ومنه عندما تتوسع الدولة كثر عدد الناطقين باللغة العربية كثير مما ولد ضعف لأن اختلاط العرب بأمم أخرى.

فكان الامتزاج أثره الخطير في اللغة العربية فقد انتشرت واتسعت دقتها وكثر عدد الناطقين بها، بإسراع من أسلم من الشعوب المفتوحة كلها إلى تعلم لغة القرآن مصدر فخر المسلمين وسيل سعادتهم في الدارين.[2]

إن كل اختلاط ناتج عن ضياع وضعف للغة هذا ما جعل العرب يهتمون بالقرآن الكريم لأنه الوسيلة الأولى من خلال إعجازه في البلاغة والبيان.

حيث كانت رغبتهم في فهم القرآن الكريم للوقوف على أسرار إعجازه ودقائق تشريعاته، من أهم الأسباب التي جعلتهم يقبلون على تعلم اللغة وإتقان آدابها ووضع العلوم المختلفة لحمايتها، فالمسلم تطلع نفسه أول ما تطلع إلى إدراك أو معرفة هذا الدين الجديد التي أعجزت العرب ببيانها العجيب ونظمها البديع، وأهم أرباب النظم وأمراء البيان والتي أحدثت في العرب انقلابا اجتماعيا منقطع النظير في وقت قصير.[3]

ومما يترتب على البلاغة العربية وأثر القرآن فيها ما يلي:

- تقنين اللغة العربية ويضعون أسسها ويحددون مدلول اللفظ إلى الشاهد العربي الخالص من (شعر+نثر) (حكمة _مثل).
- جمع اللغة والشعر من مواطنهما الأصلي فخرجوا إلى البادية لهذا الغرض والتقوا بالإعراب.

[1] المصدر السابق، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، **قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة**، ص:84.

[2] المصدر نفسه، ص:84.

[3] المصدر نفسه، ص،ص:84.85.

- التأليف حول القرآن والشعر وبيان معانيه، مجازه، وشرحه ...الخ[1]

خلاصة القول أن العرب أصبح انشغالهم هو القرآن الكريم وعجزوا عن الإتيان بمثله لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك، وبما أن العرب تراجعت عن البلاغة والبيان لامتزاجها بغير العرب وفي وجوه نظمها ومعانيها فتمسكوا بالقرآن حتى لا ينقضوا في قرائحهم وأذهانهم، حتى تكون أشعارهم وخطبهم وبلاغتهم في صورة أحسن.

إن القرآن المعجزة لهذه اللغة العربية والبلاغة العربية في النظم والاتساق وغيرها، ونلتمس هذا في رسالة الأولى **الخطابي** في كتابه **بيان إعجاز القرآن،** في قوله:" ينتقل إلى موضوع البلاغة ويعيب على القائلين بها على التقليد وعدم تحقيقهم وقصور كلامهم عن الإقناع ويعالج هو الموضوع على طريقته فيذكر الأقسام الثلاثة الكلام المحمود، ويقرآن بلاغات القرآن قد أخذت في كل قسم من هذه حصة ومن كل نوع شعبة، فانتظم لها بالامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفصاحة والعذوبة وهما على الانفراد في نعومتهما كالمتضادين لذلك كان اجتماعهم في نظم القرآن فضيلة خص بها ...، يتعذر على البشر الإتيان به وإنما صار القرآن معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف وأصح المعاني في التوحيد والتحليل والتحريم.[2]

ومما يلاحظ في هذا القول أن الخطابي بين أثر القرآن في الدراسة البلاغية من ناحية النظم والتحليل وغيرها. ويرى كذلك أن إعجاز القرآن راجع إلى جمال ألفاظه وحسن نظمه وسمو معانيه وأثره في النفوس فهو يختلف عن الروماني بأن البلاغة ترد في ثلاث طبقات، من بلاغة، وطبقة الأدنى والوسطى.

وقد تناول **مصطفى صادق الرافعي** أثر الإعجاز القرآني ضمن الدراسة البلاغية في كتابه **تاريخ أدب العرب** الذي خصص فيه قسم سماه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية وفي حديثه عن نظم القرآن

[1] عبد العزيز عبد المعطي عرفة، **قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة**،ص،ص:88.89.

[2] الروماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله وآخرون، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، ط02، 1119، دار المعارف، مصر، ص،ص:13.14.

وإضافته لفروق بين أنواع البلاغة قوله:" يحدد الفروق بين أنواع البلاغة في القرآن وبين هذه الأنواع في كلام البلغاء بأن نظم القرآن يقتضي كل ما فيه منها اقتضاء طبيعيا بحيث يبني هو عليها، لأنها في أصل تركيبة ولا تبنى عليه فليست استعارة ولا مجازا ولا كناية، ولا شيء من مثل هذا يصح في الجواز أو فيما يسعه الإمكان أن يصلح غيره في موضعه (...) فكأن البلاغة فيه إنما هي وجه من نظم حروفه بخلاف ما أتت واجد من كلام البلغاء، فإن بلاغته إنما تصنع لموضعها وتبنى عليه" [1]، وكذا فصل آخر **البلاغة في القرآن** حيث أشار إلى أن ما ورد في القرآن من فنون الكلام قد خلا من التكلف، ونفذ ما ذهب إليه علماء من ذكر فنون البلاغة التي وقع بها الإعجاز، يقول:" ولسنا نقول إن القرآن جاء بالاستعارة لأنها استعارة أو بالمجاز لأنه مجاز أو بالكناية لأنها كناية (...) إنما أريد به وضع معجز في نسق ألفاظه وارتباط معانيه".[2]

من هذين القولين يتبين أن مصطفى صادق الرافعي بذل جهودا كبيرة في التمييز بين القرآن والبلاغة وأن بلاغة القرآن تكمن في معانيه وسر إعجازه.

ومن أهم الدراسات وأهم المصنفات التي كان لها الحظ الوافر وقد صنف من أجل هذا العلم_الإعجاز القرآني في ضوء الدرس البلاغي_ قد جاءت أشبه بمباحث بلاغية يعرف بها إعجاز القرآن، ومن تلك المصنفات وأولها كتاب **الجاحظ** الذي سماه **نظم القرآن** وقد ذكر فيه قول أستاذه في الصرفة وأشار إلى وجه آخر وهو الإعجاز بالبلاغة.[3]

ومنه نرى أن الجاحظ صنف في "نظم القرآن" كتابا، لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، مثل قول أستاذه في الصرفة.

إن ما يضع الجاحظ موضعه في الاتجاه الفني لدراسة أسلوب القرآن ويشهد له بالأسبقية بالتنبيه على إعجاز رأيه في الوجه المعجز من بلاغة القرآن ذلك الرأي المتجلي في نظم القرآن، حيث وصف

[1] محمد رفعت أحمد زنجير، **مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم**، ط1، 2008، دار رفع المساهم، ص:342.

[2] المرجع نفسه ، ص:343.

[3] عمر ياسين طه الملاح، مجلة كلية العلوم الإنسانية، المجلد السابع، العدد الثالث عشر، 2013، ص:06.

كتابه قائلا:" ولي كتابا جمعت فيه آيات من القرآن لتعرف فضل الإعجاز والحذف وفرق مابين الزوائد والفضول والإشعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمباني الكثيرة بالألفاظ القليلة على الذي كتبه لك في باب الإيجاز وترك الفضول **قوله تعالى:" لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ"**[1] ، وقد جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني وهذا كثير دللتك عليه فإن أردته فهو مشهور.[2]

وأمَّا الرُّوماني فقد تحدث عن البلاغة لأهمية الوجه عنده أما الوجوه الثلاثة قبلها والوجوه الثلاثة بعدها فقد أرجأ الحديث عنها إلى آخر الرسالة ليتكلم عنها بإيجاز، ويقول في هذا الصدد فأما البلاغة فهي ثلاث طبقات:

- منها ما هو في أعلى طبقة: معجز_بلاغة القرآن.
- منها ما هو في أدنى طبقة.
- منها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة.

وما دون تلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس، وليس البلاغة إفهام المعنى، لأنه قد يفهم المعنى لا بتحقيق اللفظ على المعنى لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث، وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب بأحسن صورة من اللفظ فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم كإعجاز الشعر المفحم، فهذا معجز للمفحم خاصة كما أن ذلك معجز للكافة.[3]

ومن هنا نرى أن **الروماني** أعطى رأيه في إعجاز القرآن وأورد البلاغة في ثلاث طبقات من الأعلى إلى الأدنى ومن هنا يتبين أن الروماني أعطى مفهوم البلاغة ضمن القرآن وأنها قوة المعنى أكثر من لفظه وإعطائه للمعنى جانبا خاصا.

---

[1] سورة الواقعة، الآية33.

[2] المرجع السابق، محمد كريم الكواز، **الأسلوب في الإعجاز البلاغي القرآني**، ص:218.

[3] مصطفى مسلم، **مباحث في إعجاز القرآن**، ط02، 1992، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض،ص:51.

ويذهب الروماني ويقسم البلاغة إلى عشرة أقسام هي: **الإيجاز والتشبه، الإستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمن، المبالغة، حسن البيان.**[1]

وقام الروماني بتغيير كل قسم منها فيعرف كل قسم ويقسمه إلى نواحيه ويتشهد لكل ناحية بالآيات القرآنية، ويسوق بعض الأحيان الأبيات من الشعر وأنه جعل الصرفة وجها من وجوه الإعجاز على الرغم أنه لم يشرحه، وأنه نفى السجع من القرآن الكريم لم تكن بالمستوى الذي يحمل المرء على الاقتناع بها وترك المحسوس، ويقول الروماني في ذلك الفواصل حروف متشابكة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها وهو قلب ما توجيه الحكمة في الدلالة.[2]

ومنه نستخلص أنَّ الروماني اعتبر البلاغة من أهم مظاهر الإعجاز القرآني، وقد أورد الخصوصيات البلاغية في القرآن كالإعجاز والتشبيه والاستعارة وغيرها، كما اعتمد على شواهد من القرآن مبرزا في ذلك الإعجاز البلاغي ونفيه للسجع واعتماده على الفواصل.

وقد ذهب كذلك **الزمخشري محمود بن عمر** الذي يعتبر من أئمة النحو واللغة والأدب وله مؤلفات كثيرة في هذه المجالات ولكن لم يؤلف الزمخشري مؤلفا خاص بالإعجاز إلا أنه سلك مسلك في تفسيره مسلكا دقيقا أبرز فيه وجوه إعجاز القرآن من خلال الأساليب البلاغية التي نبه عليها وهو يفسر الآيات القرآنية، التي تكشف له وجوها من روائع البيان وعجيب النظم في تقديم كلمة على كلمة أو اختيارها أو حرف بدل حرف، حيث يتحدث عن كل ذلك بأسلوب الأديب الضليع والبلاغي الذواقة الذي يتذوق جمال الكلام وأفانين القول.[3]

ومن هنا الزمخشري يعطي صورة عن الذوق الجمالي للكلام وأن التفسير القرآني وإعجازه يكمن شرح قواعد البلاغة وتفصيلها.

---

[1] المرجع السابق، مصطفى مسلم، **مباحث في إعجاز القرآن**، ص 52.

[2] ينظر: المرجع السابق، مصطفى مسلم، **مباحث في إعجاز القرآن**، ص،ص:52.53.

[3] المرجع نفسه، ص،ص:53.54.

وقد لخص الدكتور **شوقي ضيف** جهود الزمخشري يقول:" وعلى أضواء مباحث عبد القاهر وقواعده التي أصلها في علمي المعاني والبيان مضى الزمخشري يفسر القرآن الكريم في كتابه الكشاف (...) حتى أن يقال إن علم المعاني تكامل عنده بكل تفاصيله ودقائقه، وبالمثل تكامل علم البيان وأحكمت حدوده وصورة من الكناية والاستعارة بأنواعها من تصريحية ومكنية وتمثيله ومن مرشحه ومجردة ووفق مرارا عند طائفة من صور البديع المعنوية".[1]

ومن هنا يتبين الجهود الكبيرة التي بذلها الزمخشري في قضية الإعجاز والبلاغة، وهي دراسة جادة شملت الكثير من الدراسات حول البيان والبديع من دلالات جمالية في نظم المعاني.

في قضية أثر الإعجاز القرآني في الدرس البلاغي نشب صراع حاد وعنيف بين علماء البلاغة حول الصور والألوان البلاغية في القرآن هل معجزة أو غير معجزة فانقسم إلى فرقين، الأول: يرى أنها معجزة ويجعلها من وجوه الإعجاز في القرآن، والثاني فريق آخر يرى أنها غير معجزة وينفي أن تكون من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم وهذا فريق أبو بكر **البقلاني**، مع أن هذه الصور والألوان معجزة في القرآن وإعجازها راجع إلى نضمها فالقرآن معجز بنظمه وهذه الصور والألوان اقتضاها هذا النظم المعجز فأصبحت جزء منه فتكون معجزة.[2]

ومن هنا ذهب **أبي بكر البقلاني** في قوله:" وهو أن نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام {الجن، كما يخرج عن عادة كلام الإنس}، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا ويقصرون دونه كقصورنا" [3]، وقد **قال تعالى:" قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ".**[4]

[1] المرجع السابق، شوقي ضيف، **البلاغة تطور وتاريخ**، ص،ص:373.374.

[2] المرجع السابق، محمود السيد شيخون، **الإعجاز في نظم القرآن**، ، ص:91.

[3] البقلاني، **إعجاز القرآن**، د.ط، د.ت، ص:38.

[4] سورة الإسراء، 88.

ومنه كان استقراؤنا لرأي البقلاني في تأثير الإعجاز في الدرس البلاغي والذي كرَّس جلَّ جهوده في تأليف كتابه إعجاز القرآن للدفاع عنه وتأكيده بأن الإعجاز القرآني راجع إلى نظمه بما تضمنه من وجوه البلاغة والصور البديع، كان يهدف إلى دراسة قضية الإعجاز القرآني بمنهج جديد.

المبحث الأول: ماهية التأويل

تعد مسألة التأويل من وسائل الكشف عن المعنى، وهو يتقارب كثيرا مع التفسير ومنها كانت جهود العلماء والمفسرين تناولوا البحث في كتاب الله وحديثه النبي صلى الله عليه وسلم، ومنه تطرقنا في هذا الفصل إلى معنى التأويل لغة واصطلاحا وأشكاله والفرق بينه وبين التفسير وكذا مجالاته ومرورا بتأويل اللغوي.

– التأويل لغة:

إنَّ من بين أُولى التعاريف لمصطلح التأويل وهي للعالم أحمد الفراهيدي "في معجم العين" حين قال:" والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظة".[1]

قال الفارسي:"سمي بذلك لماله إلى الجبل يتحص فيه وفي مادة أول مرتبطا بالتفقه والتدبر في نصوص القرآن الكريم، فأول الكلام وتأوله_ديره، والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى تدليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ"[2]

وكذا وروده في معجم الرائد لجبران مسعود:" تأويل (أول)، 1–مص أول، 2– تقدير الكلام وتفسيره عن المعاني الخفية وراء المعاني لظاهرة في الكلام التأويل الفلسفي"[3].

في كتاب تعريف الدارسين التأويل مصدر على وزن **تفعيل** من أول، يؤول تأويلا ومادة الكلمة هي أول.[4]

وبناء على هذا فإن التأويل في المعنى اللغوي يحمل عدة معاني والتي هي بمعنى: أرجعه وأرده.

---

[1] الخليل أحمد الفراهدي، **معجم العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السمرائي، ط1، 1988، ج8، ص:369.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، ط3، 1994، دار صادر، بيروت (مادة أول)، ص،ص: 52.130.

[3] جبران مسعود، معجم ألف بائي في اللغة و الإعلام، الرائد، ط3، 2005، دار العلم ، بيروت، لبنان، ص:219.

[4] صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط1، 2002، دار القلم، دمشق، ص:25.

وكذلك يذهب الزمخشري في المعنى اللغوي للتأويل "مأخوذة من الأول وهو الرجوع يقال أول الكلام تأويلا وتأوله، ديره وتدره وفسره والتأويل عبارة، فكان المؤول أرجع الكلام إلى ما يحمله من المعاني".[1]

وبالرجوع إلى أصل استعمال لفظة التأويل عند العرب واللغويين كانت تدور في ناحيتي الرجوع، البيان والتفسير.

وكذلك جاء في معظم التعريفات لجرجاني **التأويل** في الأصل الترجيع وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب والسنة، في **قوله تعالى:" وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ"**[2].

إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل أن تأويلا"[3]، وقال أيضا في معجم الفلسفي للدكتور جميل طيبا "التأويل في الشَّرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موفقا للكتاب والسنة إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا".[4]

نستخلص أن الجرجاني ذكر التأويل في موضع والتفسير في موضع آخر مما يدل على استخدامه للفظين مختلفين والمعنى واحد.

لقد ورد المعنى اللغوي للتأويل في العلوم الثلاثة: الشرع، النحو، الأدب.

---

[1] الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، ط3، 2009، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص:19.

[2] سورة يونس، الآية 31.

[3] محمد بن الحسين الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، 2000، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص:54.

[4] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، **الألفاظ العربية الفرنسية والإنجليزية واللاتينية**، دط، 1994، ج1،الشركة الوطنية للكتاب، بيروت، لبنان، ص:234.

1)– الشرع: هو ما ذكرناه آنفا وهو وصف اللفظ عن معناه عند الجرجاني.[1]

2)– النحو: رد الفعل أو غيره مما يسبق بوصول حرفي إلى مصدر وهو الذي يدعي التأويل بالمصدر الذي هو الموصول الحرفي.[2]

3)– الأدب: تفسير ما في النص من غموض وإعطاء معنى معين لأحد النصوص في حال وجود غموض ويكثر في الشعر.[3]

وكذا ورد في المعجم المفصَّل تعريف التأويل لغة "لغة الترجيع وحمل اللفظ على غيره مدلوله الظاهر مع احتمال له بديل يؤيده"[4]

ومنه نرى أن التأويل إيضاح المعنى وهو ما يقال عنه بتأويل القرآن ووضوح ألفاظه وآياته وحتى معانيه وإزالة الغموض.

ولما ورد في معجم الفلسفي عند العالم الإنجليزي **لينيز** في إعطائه المعنى اللغوي لمادة التأويل في قوله:" مرادف للاستقراء وهو البحث عن العلل الأشياء للارتقاء منها إلى العلة الأولى، وهي الله وما يسمه الفيلسوف استقراء يسميه اللاهوتي تأويلا والغرض منه الطريقين معرفة بواطن الأشياء"[5].

وخلاصة القول أن المعنى اللغوي للفظة التأويل لا يخرج عن العودة والرجوع والتدبر وأنه يبحث عن الأصل كمصدر أساسي في الاستنباط والتدبر واستنتاج الأحكام في النصوص القرآنية.

---

[1] محمد التونجي، **المعجم المفصل في الآداب، الفهارس المفصلة في نهاية الجزء الثاني**، ط2، 1999، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 220.

[2] المصدر نفسه، ص:220.

[3] المصدر نفسه، ص:221.

[4] المرجع نفسه، ص:220.

[5] المصدر السابق، جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ص:234.

- **التأويل في الاصطلاح**: بعد الكشف عن المعنى اللغوي لمادة التأويل في

المعاجم العربية والأجنبية القديمة. ورأي العلماء فيه نتطرق إلى المفهوم الاصطلاحي:

يقول **الراغب الأصفهاني"** والتأويل يستعمل أكثر في الكتب الإلهية" [1]، لأن مفهوم التأويل يرتبط ارتباط وثيقا باللفظة والدلالة، ونجده يستعمل في الدراسة الدينية، لأنه جاء لكشف الغموض، ويقوا أبو منصور الماتريدي وهو من علماء التفسير والكلام "التأويل هو ترجيح أحد المحتملات بدون القطع"[2].

ومنه أنَّ التأويل هو الرجوع أو المردة لذا هذا المصطلح في الدراسة الدينية.

وكذلك ورد في تعريف ابن حزم الظاهري يقول: "التأويل نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر فإن كان نقله قد صح ببرهان وكان ناقله واجب الصاغي فهو حق وإن كان ناقله بخلاف ذلك اطرح ولم يلتفت إليه. وحكم ذلك النقل بأنه باطل".[3]

ونلاحظ في تعريف ابن حزم توفر شروط تتحقق في التأويل والمؤول تتجلى في اللفظ والمعنى معا.

ويذهب الغزالي في قوله:" التأويل عبارة عن احتمال يغمده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر ويشبه أن يكون كل تأويل صرفا للفظ عن الحقيقة إلى المجاز"[4].

---

[1] الراغب الأصفهاني، **مقدمة التفسير الملحقة بكتاب تتريه القرآن عن المطاعن**، ط4، 1329، القاهرة، ص:02.

[2] أحمد الغفار، **التأويل الصحيح للنص الديني**، دط، 2003، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، ص:19.

[3] المرجع نفسه، ص:19.

[4] أبو حامد الغزالي، **المسطفى في علم الأصول**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دط، 1413، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص:387.

نستنتج من تعريف الغزالي لمعنى التأويل ركز على التأويل المجازي. وهو صرف اللفظ عن معناه الأصلي.

وذكر الرازي في المعنى الاصطلاحي للتأويل:"التأويل هو حرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوع مع قيام الدليل القاطع على أن ظاهر محال"[1].

والملاحظ أن كل من العالمين الغزالي والرازي يتفقان في المعنى الاصطلاحي للتأويل أنه صرف اللفظ عن ظاهره. والرجوع الجازم للكشف عن المعنى المحجوب.

عرَّف الزمخشري في كتابه تفسير الكشاف:"تفسير الكلام وبيان معناه سواء أوافق ظاهره أو خالفه"[2].

ومن هنا فالزمخشري اهتم بالتفسير سواء كان ظاهرا أو باطنا المهم بيان معناه.

وربَّما كان أقدم استخدام اصطلاحي لتأويل عند الإمام الشافعي في كتابه الرسالة قال:"ونفى احتمال الغلط في التأويل في العلم العام الذي هو من قبيل مالا يتنازع فيه"[3].

ومنه نستخلص أن مصطلح التأويل ورد أكثر من موضع، في الاستنباط، والتدبر وكذا نفي وجود أي احتمال يؤدي إلى الغلط.

يقول الخيثران:"التأويل في المصطلح النحوي يعني التي ورد ظاهرها مخالفا للأحكام والأقيسة التي استنبطها النجاة واعتمدوها ومحاولة توجيهها وجهة تجعلها منفقة مع هذه الأحكام والأقيسة غير مخالفة لها"[4].

---

[1] فخر الدين الرازي، **أساس التقديس في علم الكلام**، دط، 1328، القاهرة، ص:222.

[2] المصدر السابق، الزمخشري، **تفسير الكشاف**، ص:19.

[3] إدريس الشافعي، **الرسالة**، تحقيق:أحمد شاكر، د،ط، د،ت، دار الكتب العلمية، بيروت، ص:219.

[4] علي بن محمد الشهري، **التأويل النحوي وأثره في توجيه المعنى في تفسير فخر الدين الرازي**، رسالة دكتوراه في اللغة العربية، إشراف حمدان الغامدي، 1426، ص:12.

ومنه نستنتج أن كلا من النحو والعلوم الأخرى يحتاج إلى تأويل فاستدلوا به وابتعدوا عن تأويل المعنى للفظة.

بعد تحديد المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة التأويل لا بد أن نعرض الاستعمال القرآني لمصطلح التأويل وذكر ما جاء به المفسرين والعلماء.

وردت كلمة تأويل في القرآن الكريم حسب ترتيب السور في المصحف الشريف كما يلي:[1]

قال تعالى:

"الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْزَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِيَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ".[2]

قال تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ".[3]

قال تعالى:" وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ".[4]

---

[1] أحمد عبد الغفار، **التأويل الصحيح للنص الأدبي**، ص:25.

[2] سورة آل عمران، الآية 7.

[3] سورة النساء، الآية 59.

[4] سورة الأعراف، الآيتين 52.53.

لقد كثرت الآراء والخلافات حول كلمة تأويل في الآية الأولى وهي السابعة من سورة آل عمران واستغرقت كثير من صفحات كتب التأويل الذي عنى به عز وجل شأنه.[1]

إنَّ لفظة التأويل ورد جذره أول في القرآن الكريم من خلال اثني عشر اشتقاقا وردت في 420 موضعا أما صيغة التأويل فقد وردت في 17 موضعا في 05 سور مكية وسورتين مدنيتين وقد ارتبط هذا اللفظ في القرآن بتأويل الرؤى والأحلام والأحاديث، ومعنى التأويل في القرآن هو التحقق والوقوع سواء لما ورد في الكتاب أو الرؤى والأحكام والمآلات والعواقب المترتبة على الأفعال فالتأويل في الاصطلاح القرآني ما يصبر إليه قول أو الفعل من عاقبة وتحقق في عالمي الغيب أو الشهادة. وفي المعنى في اصطلاح الحديث النبوي مصير ألفاظ القرآن إلى المعاني المرادة الله تعالى منها.[2]

وكما ورد في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن العباس " **اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل**"[3]

وخلاصة القول أن لفظة التأويل مفهوم قديم ظهر في فترة الإسلامية مع نزول القرآن وذلك لإزالة الغموض والإبهام عن النصوص القرآنية وبذل العلماء والمفسر ون والمؤولون جهودا كبيرة في هذا المجال.

[1] أحمد عبد الغفار، **التأويل الصحيح للنص الأدبي** ، ص:27.

[2] عبد الرحمن حليلي، **التفسير والتأويل في علوم القرآن** دكتوراه في العلوم الإسلامية، ، دراسة في المفهوم، ص:16.

[3] الإمام أحمد ابن حنبل ، **المسند**، د،ط، 1998، ج1، لعلم الكتب، بيروت، ص:328.

المبحث الثاني: أقسام التأويل

قسم العلماء التأويل إلى الأقسام التالية:

أولا: التأويل الصحيح:

عرَّف **ابن تيمة** التأويل الصحيح :"إنَّنَّا لا نذمُّ كل ما يسمى تأويلا بما فيه كفاية إنما نذم تحريف الكلم عن مواضعه ومخالفة الكتاب والسنة في قول القرآن بالرأي"[1]

فهم يرون أن هذا هو التأويل الصحيح وهذه شروطه. فما دل عليه الدليل لا يذم ولا محذور فيه وإن كان فيه صرف اللفظ عن ظاهره ما دام أن هذا التفسير مأخوذ من نصوص الشرع به علميا ويسمونه تفسيرا، ومنه قال **ابن تيمية:** ويجوز باتفاق المسلمين أن نفسر إحدى الأيتين بظاهر الأخرى.[2]

ومنه نستخلص أن التأويل الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الشَّرع تأويل صحيح ويسمونه بالتفسير. والذي يخالف تأويل النصوص ولا يطابق تأويلها يطلقونه بتأويل فاسد.

ومن أمثلة التأويل الصحيح:

قال الله تعالى:"وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللهُ"[3]، فتأويل هذه الآية بمعنى حقيقة الشيء"، وقوله أيضا "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ"[4].

---

[1] عبد الله حذر حمد، **التصوف والتأويل**، د،ط، د،ت، دار النشر الأكاديمون، العراق، ألابيل، ص،ص: 135.136.

[2] أبي عبد اللطيف الأنصاري، **رسائل في العقيدة**، د،ط، 1418، سلسلة الرسائل الأنصارية، مكتبة الفرقان، ص:34.

[3] سورة آل عمران، الآية07.

[4] سورة الأعراف، الآية53 .

ومنه يتبين من الآيتين الكريمتين أن ما يعلم حقيقة ما يكون يوم القيامة من حساب وعذاب ونار وجنة إلا ما ذكره الله عز وجل في القرآن الكريم فتأويل هنا لا يعلمه إلا جل ثناؤه.

ثانيا: التأويل الفاسد

هو الذي لا يحظى بدليل يصيره راجحا وموافقا. قال العزابي:" فليس كل تأويل مقبولا بوسيلة كل دليل بل ذلك يختلف ولا يدخل تحت ضبط"[1].

ويذهب كذلك **السبكي** في معنى قوله أن التأويل إن لم يكن صحيح وفصيح فهو فاسد لا تأويل له.[2]

ومنه يقصد بالتأويل الفاسد هو ما صرف عن ظاهره إلى معنى آخر بدون دليل. وشك المؤول بأنه دليل صحيح وهو ليس كذلك.

أمثلة عن التأويل الفاسد:

مثال في قولهم توجد قرينة أخرى. **قال الله تعالى:** " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**"[3]، وقوله أيضا:" **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** "[4]، فقيل لهم: هاتان الآيتان غير ظاهرتين في المعنى الذي يردونه، لأنه لو قلت لرجل: عندي شيء ليس كمثله شيء، لما فهم أنه ليس في الكون ما يشبه في بعض

[1] أبو حامد الغزالي، **المسطفى في علم الأصول**، ص:245.

[2] ينظر: علي السبكي، **جمع الجوامع في أصول الفقه**، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط2، 1424، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص:35.

[3] سورة الشورى، الآية 11.

[4] سورة الإخلاص، الآية 4.

الوجوه، وإنما يفهم أنه ليس كمثله من جميع الوجوه شيء، وقريب من هذا يقال في الآية الثانية فكيف يجوز أن يكتفي في هذا المطلب العظيم بقرينة ظاهرها أنها ليست قرينة.[1]

ومن ثمة يتضح لنا أن تعدد التأويلات واختلافها. والقرينة واحدة تدل على معنى الآيتين فيدرك المخاطب حقيقة المراد فعرفتها.

ثالثا: تأويل الحق.

يرى الأملي أن تأويل الحق هو تأويل أرباب العلم وأهل الرسوخ منهم، وذلك ينقسم إلى قسمين:

1 – قسم يتعلق بأرباب الظاهر وأهل الشريعة:

هو صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها ويطابق الكتاب والسنة والذي دفع أهل الظاهر إلى تأويل بالمعنى السالف في نظر اللأملي هو حاجتهم إلى رفع التناقض الذي يستفاد نتيجة النظر البدوي في ظواهر القرآن، **مثال:** على احتياجهم إلى هذا التأويل: وجه الله، يد اله، وجنب الله لو فسروها على ظاهر من غير تأويل لأدى إلى كثير من الكفر والزندقة فاحتجوا إلى التأويل ليخلصوا من الوقوع في المقايسة من تشبه والكفر وغيرها.[2]

2 – قسم يتعلق بأهل الباطن وأرباب الطريقة:

في هذا القسم يعتقد الآملي أن التأويل الذي قام به أهل الظاهر وإن كان حقا إلا أنه لا ينبغي الوقوف عند هذا الحد منه والاقتصار فيه على خصوص أمر كهذا وهنا الآملي يشدد على وحدة الكلمة الإلهية بحسب النظر الكلي.[3]

---

[1] عبد الرحمن بن يحي المعلمي، **رسالة في حقيقة التأويل**، تحقيق جرير بن مالك، ط1، 2005، دار الأطلس الخضراء، ص:85.

[2] كمال الحيدري، **تأويل القرآن النظرية والمعطيات**، ط2، 2006، دار فراقد، ايران، ص،ص:113.114.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص:115.

وبالرُّجوع إلى ما قدمه الآملي في أقسام التأويل ومنه تأويل الحق هو ما يكون على صواب وما تقدم على أساس الشرَّع وقاعدته وساعده العقل وأيده الوجدان والكشف عن الحقيقة لأنَّ التأويل في نظره يَكْمُنُ في التدبر والتمعن في آياته سبحانه.

المبحث الثالث: أشكال التأويل

بعد تحديدنا لماهية التأويل وذكر أقسامه . فانتقلنا لمعرفة أشكال التأويل وتعددها من فاسد وصحيح، وغيرها لأن ظاهرة التأويل كما قدمناها ترتبط بالجانب الديني واللغوي أكثر من الميادين الأخرى.

لقد قام بعض العلماء على اختلاف مشاربهم وبيئاتهم ببيان. ومنهم الأصليون.

أولا: باعتبار الدليل الذي ينبني عليه: فهو التأويل المبنى على نص شرعي وعلى القياس المعتبر عند الشارع والذي يعتمد على الوصف المناسب والمؤثر.[1]

ثانيا: باعتبار قربه وبعده فهو نوعين:

النوع الأول: التأويل القريب.

فهو صرف اللفظ عن ظاهره، بدليل صحيح في نفس الأمر يدل على ذلك وإلى معنى قريب الاحتمال وهذا النوع يتضح مراده بأدنى دليل لوضوحه.[2]

مثال عن التأويل القريب، **قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ "[3].**

[1] محمد غريب نبيل الزبيدي، **التأويل البعيد والقريب وأثرهما في الحكم الأمولي**، مجلة أبحاث التربية الأساسية، 2001، مج10، العدد الرابع، كلية التربية، الموصل، ص:261.

[2] المرجع نفسه، ص 261.

[3] سورة المائدة، الآية06.

ومنه فالقيام بالصلاة مصروف معناه الظاهر إلى معنى آخر محتمل وهو إذا عزمتم على أداء الصَّلاة وترجيح هذا الاحتمال أن الشَّرع يطلب من إنسان الوضوء بعد قيامه للصَّلاة بل يكون الوضوء قبل القيام للصَّلاة لأنه شرط من شروط الصَّلاة.[1]

النوع الثاني:

التأويل البعيد: هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر بعيد الاحتمال أو يحتاج لبعده إلى مرجح قوي، ولا مرجح أقوى ولا يترجح بالأدنى وإنما يحتاج فيه إلى دليل قوي من الظاهر حتى يؤول عليه.[2]

وقال أيضا الجيزاوي: "التأويل قد يكون قريبا فيترجح بأدنى مرجح وبالاحتمال المحتمل ومثل هذا شائع في عبارة القوم وقيد بغلبة الفن لما تقرر عندهم التأويل ظن المراد والتفسير قطع به أصول الحنفية"[3].

مثال عن التأويل البعيد: قوله صلى الله عليه وسلم لأبن غيلان وقد أسلم على عشرة نسوة أمسك أربعا وفارق سائرهنَّ أي يبتدئ النكاح أو أمسك الأوائل فإنه يبعد أن يخاطب بمثله متجدد في الإسلام من غير بيان مع أنه لم ينقل تجديدا قط، وأما تأويلهم لقوله صلى الله عليه وسلّم لفيروز الديلمى وقد أسلم على أختين أمسك أيتهما شئت فأبعد أينهما.[4]

يتضح مما سبق ذكره أن التأويل البعيد يكون له دليل قوي ليترجح إلى المراد تأويله بعيدا عن المقصود، وهذا النوع يحتاج إلى دليل قوي كلي يتسنى قبول التأويل البعيد لذا فإن الضعف يعتري الأخير تبعا لدليل فهو بحاجة إلى مرجح أقوى.

---

[1] الزحيلي وهبة، **أصول الفقه الإسلامي**، ط2، 1998، ج1، دار الفكر، بيروت، ص:216.

[2] المرجع السابق، نبيل الزبيدي، **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، ص:261.

[3] عمرو ابن حاجب الملكي، **شرح مختصر المنتهى الأصولي**، شرحه عبد الرحمن الايجي، تحقيق محمد حسن اسماعيل، ط1، 2004، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص:148.

[4] المصدر نفسه، ص:148.

النوع الثالث:

التأويل المعتذر: هو التأويل الذي أشار إليه الشافعية فظاهر أنه مرفوض بما يدل عليه تسميته إذ لا يوجد له دليل وإن وجد فهو دليل ضعيف لا يسند إليه.[1]

ومن هنا نرى التأويل المتعذر دليله ضعيف لا يسند إليه حتى إن وجد.

لقد تناول الراغب الأصفهاني التأويل تنازلا عاما بألوانه المختلفة ويقسمه إلى قسمين مستكره، منقاد، والتأويل المستكره أربعة أنواع:

1 – لفظ عام يخصص في بعض ما يدخل تحته نحو **قوله تعالى:**

"إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖوَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ"[2]، اختلاف المؤولون في الآية الكريمة فمنهم من قال أصحاب محمد ومنهم من قال **الأن**بياء على لفظة صالح المؤمنين.[3]

2 – التلفيق بين قولين ويظهر ذلك عند من زعم أن الحيوانات كلها مكلفة مستندا إلى نوع من التأويل التوفيق أو التلفيق مثال **قوله تعالى:" وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ".**[4]

وقال أيضا في موضع آخر:

"وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ"[5]، فأولو قوله أنهم مكلفون كما نحن مكلفون أي الحيوانات.[6]

---

[1] أحمد عبد الغفار، **التأويل الصحيح للنص الأدبي**، ص:107.

[2] سورة التحريم، الآية4.

[3] المرجع نفسه، ص103.

[4] سورة فاطر، الآية24.

[5] سورة الأنعام، الآية38.

[6] المرجع نفسه، ص:104.

3 –ما استعين فيه بخبر أو كالمزور كالتأويل **قوله تعالى** :"**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**"[1]، مستدلين بأحاديث موضوعة في قولهم عبني الجارحة ولكن المعنى الصحيح في اللِّسان العربي بما يوافق كلامهم تكشف الشدة أو القيامة عن ساقها إذ يقال في بيت شعري:

فَتَى الحَرْبُ إِن عَضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّهَا وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرَ[2]

4– ما يستعان فيه باستعارات واشتقاقات بعيدة كما قال بعض الباطنية في لفظ البقرة: إنه إنسان يبقر عن أسرار العلوم.[3]

ومنه استخلصنا أن الراغب حدد أربعة أنواع للتأويل المستكره وبين لنا كل نوع له ميدانه الخاص به مثل الأول يختص بالعموم والخصوص والثاني التوفيق من عند الله أو تكليف والثالث إفساد التأويل لما أنه مزور والأخير وضف فيه البلاغة من بيان واستعارة.

التأويل المنقاد:

وهو مالا تعرض فيه بشاعة أو استقباح ، وقد يقع فيه الخلاف بين الأئمة: إما لا تشرك في اللفظ نحو"لا تدركه الأبصار" [4]، هل هو من بصر العين أو القلب؟، وإنما الأمر راجع إلى النظم **قوله تعالى:" إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا "**[5]، هل الاستثناء مقصور على المعطوف وحده أو عائد إلى الجمع؟ وإما غموض المعنى وجازه النظم، كقوله تعالى:

"**وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** "[6] وإما لغير الله.[7]

---

[1] سورة القلم، الآية 42.

[2] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق عبد الرحمن المرعشلي، ط1، 1990، ج2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص:319.

[3] المصدر نفسه، ص:319.

[4] سورة الأنعام، الآية103.

[5] سورة النور، الآية5.

[6] سورة البقرة، الآية227.

[7] المصدر نفسه، الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ص:318.

ومنه نستنتج أن التأويل المنقاد هو إشراك الألفاظ ودلالاتها في المعنى ومدى تأديتها للمعنى المطلوب أو آخر وأن الأمر يتعلق بالنظم ورجوع التأويل إليه مما أدى إلى اختلاف التفاسير لكثرة الخلافات في المسائل.

المبحث الرابع: الفرق بين التفسير والتأويل

تطرقنا في هذا المبحث إلى بيان أوجه الاختلاف والتساوي بين المفهومين (التفسير والتأويل)، فمنهم من يرى أن التفسير والتأويل معنى واحد ومنهم من يرى أن هناك فرق بينهما فاختلف العلماء حول ذلك: هل التفسير والتأويل بمعنى و احد أم يختلفان فذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين، وذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين، وذهب قوم يميلون إلى الفقه وإلى اختلافهما فقالوا التفسير إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي والتأويل نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ فهو مأخوذ من قولك آل الشيء إلى كذا أي صار إلي[1].

ومنه نلاحظ أنه هناك التساوي والاختلاف في المعنيين.

أولا: التساوي بين التفسير والتأويل.

هذا الفريق قد عرف التأويل بالتفسير ومنهم الإمام الطبري (310هـ) من أشهر ما استعمل مصطلح التأويل ويقصد به التفسير وبيان المعنى القرآني وذلك من خلال كتابه جامع البيان في تأويل القرآن حيث قال:"ونحن في شرح تأويله، وبيان ما فيه من معانيه _منشؤون_ إن شاء الله ذلك_ كتابا مستوعبا لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه" [2]، وقد ذهب أبو عبيدة:"التفسير والتأويل معنى واحد"[3] ويذهب كذلك الماتريدي التأويل ترجيح أحد المحتملات المحتملات بدون قطع.[4]

---

[1] ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، د،ط، 1404، ج1، المكتب الإسلامي، بيروت، ص:4.

[2] الطبري، **تفسير الطبري جامع البيان عن التأويل**، تحقيق:عبد الله بن المحسن، التعاون مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية، د،ط، د،ت، ج1، دار هجر، ص:7.

[3] عبد الغفار، **التأويل الصحيح للنص الديني**، ص:43.

[4] المرجع نفسه، ص:43.

وقد أورد الطوفي جواز استعمال أحدهما موضع الآخر مجازا إذا الأصل عدم الترادف عند من يثبته.[1]

وقد رجح الشيخ الطاهر ابن عاشور القول بالتساوي بينهما قال:"لأن التأويل مصدر أوله إذ أرجعه إلى الغاية المقصودة. والغاية المقصودة من اللفظ هو معناه وما أراده منه التكلم به من معاني فتساوي التفسير على أنه لا يطلق إلا على ما فيه تفصيل معنى حفي معقول"[2]

وفي التساوي بين المعنيين قال الأزهري سئل أحمد بن يحي عن التأويل:"التأويل والتفسير والمعنى واحد، قلت ألت الشيء: جمعته وأصلحته، فكان التأويل جمع معان مشكلة بلفظ واضح لا إشكال فيه، قال الليث: التأويل تفسير كلام الذي تختلف معانيه"[3].

ثانيا: التفريق بين التفسير والتأويل

اختلف العلماء والمفسرين في بيان الفرق بين المفهومين وتعددت أقوالهم وتضاربت في ذلك.

لقد أورد محمد حسين الذهبي رحمة الله عليه في مقدمة كتابه التفسير والمفسرون:[4]

التفسير: بيان معاني القرآن من باب الجزم والقطع، وذلك لوجود دليل لدى المفسر، يعتمد عليه في الجزم والقطع.

والتأويل بيان معاني القرآن من باب الاحتمال وعليه الظن والترجيح لعدم وجود دليل لدى المؤول يعتمد عليه في الجزم والقطع.

---

[1] الطوفي، **الإكسير في علم التفسير**، تحقيق عبد القادر حسين، ط2، 1989، دار الأوزاعي، ص:29.

[2] ابن عاشور طاهر، **مقدمات تفسير التحرير والتنوير** ، تعليق، طاهر الميساوي، ط 1، 2006، المقدمة الأولى، دار التحديد، كوالالمبور، ص:40.

[3] القاضي بن العربي الإشبيلي، **قانون التأويل**، تحقيق محمد سليماني، ط1، 1982، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ص:231.

[4] صلاح عبد الفتاح الخالدي، **التفسير والتأويل في القرآن**، ط1، 1992، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ص:170.

هذا قول أبي منصور الماتريدي:[1]

التفسير: بيان معاني الألفاظ القرآنية الظاهرة، التي وضعت لها في اللغة كتفسير الصرط بالطريق، والصيب بالمطر.والتأويل بيان باطن الألفاظ القرآنية والإخبار عن حقيقة [2] المراد بها والمثال على هذا الفرق قوله تعالى:" **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**"[3]

هذه الآية لها تفسير وتأويل:

تفسيرها: أن المرصاد من الرصد والملقبة أي إن الله مطلع على كل ما يعمل الظالمون.

تأويلها: تحذر الآية من التهاون بأمر الله والغفلة عن الإلهية والاستعداد للعرض عليه يوم القيامة.

وكذا يميز علي حرب بني التفسير والتأويل ويوضح الاختلاف فيعرف التفسير بأنه:"يرمي إلى الكشف عن مراد المؤلف ومعنى الخطاب وغالبا ما يستعمله السلفيون ودعاة التطبيق مع الأصول في مراعاتهم حول ملكية الحقيقة ومشروعيته الانتماء"[4]

وأمَّا التأويل فيعرفه بقوله"هو صرف اللفظ إلى معنى يحتمله إنه انتهاك للنص وخروج بالدلالة، ولهذا فهو يشكل إستراتيجية أهل الاختلاف والمغايرة وبه يكون الابتداع والتجديد والاستئناف وإعادة التأسس ومأزق التأويل أن يوسع النص بصورة تجعل القارئ يقرأ فيه كل ما يرد يقرأه"[5].

[1] المرجع السابق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، **التفسير والتأويل في القرآن**، ، ص،ص:170.171

[2] المرجع نفسه، ص:170.

[3] سورة الفجر، الآية14.

[4] علي حرب، **الممنوع والممتنع نقد الذات المفكرة**، ط1، 1995، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ص:21.

[5] المرجع نفسه، ص:21.

ومنه نلاحظ أن علي حرب فرق بين المفهومين بأنهما يختلفان بأن التأويل هو معنى محتمل عن معاني متعددة أي عدم ربط النص بمعنى واحد فقط وأن التفسير هو حقيقة ثابتة ومعنى واحد وهو ما يفهمه المفسر خلال عملية التفسير.

التأويل هو ما أول إليه الكلام أو يؤول إليه، أو تأويل إليه الكلام إنما يرجع ويعود ويستقر ويؤول إلى حقيقته التي هي عين المقصود به كما قال بعض السلف [1]، في **قوله تعالى:"لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ "**[2].

وأمَّا التفسير فهو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدللاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبة ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتَتِمان لذلك.[3]

وما ذهب إليه ذلك السيوطي في كتابه من تفريقه لمفهومين قوله:

- التفسير أكثر استعماله في الألفاظ والمفردات. والتأويل أكثر استعماله في المعاني والجمل.

- التفسير بيان ألفاظ القرآن الذي لا يحتمل إلا معنى واحدا، والتأويل توجيه ألفاظ القرآن التي تحتمل عدة معان إلى معنى واحد اعتمادا على الأدلة في ذلك.[4]

بالرجوع ما ذهب إليه السيوطي نرى بأن التفسير والتأويل يختلفان بحسب استعمالهما فإذا كان تفسيرا يكون إلا في الألفاظ والتأويل يختص بالمعاني.

---

[1] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **الإكليل في المتشابه والتأويل**، حققه: محمد الشيمي شحاته، د،ط، 2002، دار الإيمان، اسكندرية، ص:32.

[2] سورة الأنعام، الآية67.

[3] المصدر السابق، الزمخشري، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل**، ص:19.

[4] السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، تحقيق: مصطفى البغا، ط1، 1415، 1987، دار ابن الكثير، دمشق، سوريا، ص:189.

وذكر الجوزي في بيان الفرق بين اللفظتين:

التفسير إخراج الشيء من معلوم الخفاء إلى مقام التجلي، وأما التأويل نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ.[1]

وجاءت فترة انتشر التوسع في استعمال الرأي. ومنها ظهر موقفان: موقف يشدد في قبول التفسير ما لم يرد فيه قول للنبي أو صاحبته، ويظهر ذلك في قول الشعبي: ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت، القرآن الروح والرأي. أمَّا الموقف الثاني لم يجد بأسا من تفسير القرآن حسب الاجتهاد وعلى هذا جرى كثير من المفسرين، فاجتهدوا وقالوا بآرائهم وكان أكثر من قام بهذا علماء العراق مواطن أصحاب مدرسة الرأي في التشريع.[2]

ملخص القول في بيان الفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير أعم من التأويل لارتباطه بمتن النص القرآني، ويوظف في المفردات والألفاظ بظاهرها، وأن استعمال التأويل في المعاني والجمل فهو تخريج ذاتي حسب المؤول فهو بيان معاني الألفاظ القرآنية الباطنية.

[1] أحمد عبد الغفار، **التأويل الصحيح للنص الديني**، ص:43.

[2] المرجع نفسه، ص ،ص:42.43.

المبحث الخامس: التأويل اللغوي

تعدُّ مسألة التأويل من أهم المباحث التي عنى بها الفكر الإسلامي عموما والمعارف القرآنية خصوصا إذ أن لها تأثير في دوائر معرفية متعددة كالتفسير والكلام والفلسفة والعرفان والفقه وأصول الفقه.[1] والذي يهمنا هو علم اللغة.

لذا يعتبر التأويل في تراثنا منهجا لغويا. وأن تأويل القرآن الكريم تأثر بنمو الدراسات الفيلولوجية والنحوية فضلا على أنه ترك فيها أثرا، وقد يتبع اللغويين في بيان الكلمة القرآنية نفس المنهج الذي اتبعوه في مقامات أخرى أو كان توثيق معنى كلمة في القرآن هو نفسه توثيقها في خارجه وكان المنهج هو الوسيلة مغالبة التجاوز والإفراط.[2]

ومنه أدرك اللغويين أنه من حق اللغة أن تساير مطالب العقل وأنهم وجدوا من خلال تفسير القرآن الكريم لهم وتأويله متسعا لتنمية تصوراتهم والقدرة على بيان معانيه واتضاح أحكامه وتدبر كلماته. وساروا بتطور مناهجهم اللغوية من خلال تفاسيرهم المختلفة.

يعدُّ الجانب اللغوي هام في العملية التأويلية، وذكر فخر الدين الرازي قائلا:"فالرازي لا يكتفي بعلمه اللغوي حتى لا تتلاشى كينونة النص في حدود التركيبة النحوية والنفسية للغتنا، فاللغوي يكفي في علمه تصور المفهوم سواء كلن حقا أو باطلا".[3]

وبما أن للغة الأثر الكبير في مسألة التأويل سنبين أثر الدلالة اللغوية في التأويل لدى المفسرين والتي تعد من أهم الأسس التي اعتمدها المفسرون في تأويلهم للقرآن الكريم وفهمه.

---

[1] المرجع السابق، كمال الحيدري، **تأويل القرآن النظرية والمعطيات**، ص:13.

[2] مصطفى ناصف، **نظرية التأويل**، ط1، 2000، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ص:31.

[3] عمار ناصر، **اللغة والتأويل**، مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ط1، 2007، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ص:143.

لقد عني المفسرون والمؤولون بالدلالة اللغوية بوصفها أساسا للوصول إلى المعاني التي يتحملها النص القرآني، ومن ثم استنباط الأحكام الفقهية المتعلقة بأفعال المكلفين.[1]

ويتبين أثر الدلالة في التأويل من خلال الأسماء التي تحتمل التأويل أكثر من الأفعال، ذلك أنها لا ترتبط بزمان أو مكان والأسماء بطبيعتها المطلقة فتحت أمام المفسرين أبوابا في تأويل الدلالة، مثلا الكَلَّة في **قوله تعالى:**

"وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌفَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ"[2].

ذهب المفسرون مذاهب عديدة في تأويلها منها الكلالة بمعنى الميت الذي لم يترك ولدًا ولا والدًا. الكالَّة بمعنى الوارث المباشر إن كان رجل يورث منه كلالة.[3]

ومنه يتبين أنَّ اهتمام المفسرون بالدلالة اللغوية التي تمثل جانبا هاما في دراستهم لمسائل التأويل واعتمادهم على الأسماء في القرآن الكريم بدلا من الأفعال لأنها ثابتة، على الرغم من اختلاف تفاسيرهم إلا أنهم أولوا عناية خاصة بالجانب اللغوي والدلالي، وتركيزهم على كل كلمة في كتاب الله.

وبما أنَّنَا نتحدث عن التأويل القرآني فالجانب النحوي يمثل جزءا كبيرا في الجانب اللغوي، لأن النحاة كانت لهم علاقة أصيلة بالقرآن الكريم لأنه جاء حفاظا منه من التحريف.

ومن هنا ورد في كتاب سبويه وحدَّثنا يونس أيضا تصديقا لقول أبي الخطاب أن العرب تقول: هذا أنت تقول كذا وكذا لم يرد بقوله: هذا أنت، أن يعر في نفسه كأنه يريد أن يعلمه أنه ليس غيره، هذا محال ولكنه أراد أن ينبهه كأنه يقول قال، الحاضر عند أنت والحاضر قائل

---

[1] كمال فالح المقابلة، **أثر الدلالة اللغوية في التأويل عند المفسرين**، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج5، العدد (03/ب) 2009، ص:249.

[2] سورة النساء، الآية12.

[3] ينظر: الخليفة الحسن، **مناهج الأصوليين**، ط1، 1989، مج1، مكنية وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، ص:44.

كذا وكذا أنت، وإن شئت لم تقدم "ها" في هذا الباب [1] **قوله تعالى:"ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ"**[2].

وبالرُّجوع إلى هذا القول نرى في كتاب سبويه أنه عرض مسألة هامة وهي احتجاجه لظاهرة النحو في لغة القرآن الكريم وأن تعقيد النحو العربي قاعدته الأولى القرآن ومنه تشكل النحو التأويلي ظاهرة نحوية لدى المفسرون.

لم يتناول أحد من النحاة معنى التأويل كفكرة كما تناوله علماء اللغة وإن كانوا يمارسونه في تطبقاتهم النحوية، ولعلَّ النص الوحيد الذي اعتمد عليه هنا في تبيان معنى التأويل هو ما رواه السيوطي عن أبي حيان في شرح التسهيل، قال أبي حيان:"التأويل إنَّما يسوغ إن كانت الجادَّة على شيء، ثم جاء شيء يخالف الجادَّة فيتأول"[3].

لذا فالتأويل عند النحويين هو صرف الكلام من ظاهرة إلى وجوه خفيفة تحتاج لتقدير وتدبر، وأن النحاة قد أولوا الكلام وصرفوه عن ظاهرة لكي.[4]

بالرُّجوع إلى قول أبي حيان أن القواعد التي يلتزم بها النحاة فإذا أوجد نص في قاعدة نحوية تعمد النحاة إلى تأويله بما يتفق مع مذهبهم.

وقد قال أحد الباحثين في مجال التأويل النحوي:"أصبح التأويل يطلق عن الأساليب المختلفة التي تهدف إلى صفة الاتساق على العلاقة بين النصوص والقواعد"[5]

---

[1] محمد خير الحلواني، **أصول النحو العربي**، ط2، 1938، دار الناشر الأصيلي، الرباط، ص،ص:33.34.

[2] سورة البقرة، الآية83.

[3] السيوطي، **الإقتراح في علم اصول النحو**، تحقيق: أحمد قاسم، ط2، 2006، نشر أدب الحوزة، إيران، ص:75.

[4] محمد عبد القادر هناوي، **ظاهرة التأويل في إعراب القرآن**، رسالة لنيل درجة الماجستير، إشراف الدكتور أحمد الأنصاري، 1982، ص:8.

[5] أبو المكارم، **أصول التفكير النحوي**، ط1، 2006، دار غريب، مصر، القاهرة، ص:262.

ومنه نرى أن التأويل لا يقتصر على الجانب اللغوي فقط بل يتعداه إلى النحوي فالعلاقة بين النصوص والقواعد النحوية التي تجعل النص متناسقا، وقابلا للتأويل رغم اختلاف المفسرون.

فالنحو والتأويل علمان لهما مميزات وخصائص تكمن إفادته في أدواته وحدوده ولكل واحد منهجه لذا عنى النحاة بمسألة التأويل وأوردوا تعريفا نحويا له: في كتاب الحموز قال:"وتشيع لفظة التأويل في مؤلفات النحو المختلفة وهي تدور في فلك حمل النص على غير ظاهر لتصحيح المعنى أو الأصل النحوي"[1].

يقصد هنا حموز أن التأويل لفظة قديمة متواجدة في مؤلفات النحو ليؤول النص من ظاهره لمعنى صحيح ودقيق يكون فيه قادرا على الفهم والاستنباط.

وذهب تمام حسان في قوله:"وأولى بنا أن نقتدي بكتاب الله تعالى فنجعل التأويل والرد مترادفين"[2]

ومنه يرى حسان أن التأويل هو الرجوع إلى الأصل والحفاظ على اللفظ في كتاب الله المقدس وهو بين أن مصطلح التأويل قديم قدم اللغة والفقه.

لم يبحث النحاة عن موضوع التأويل بحثا مباشر في كتب أصول النحو، وربما كان السبب في ذلك أن التأويل لم يتخذ له صورة مستقلة في أذهان الدارسين كفكرة الغياب مثلا. حيث أنهم اعتبروا التأويل أثر لشيء أخر، اعتبروه مظهر لأفكار النحو الأخرى التي وجهته،

[1] عبد الفتاح أحمد الحموز، **التأويل النحوي في القرآن الكريم**، رسالة الدكتوراه، د،ط، 1981، ج1، مكتبة الرشد، الرباط، ص:17.

[2] تمام حسان، الأص**ول دراسة ابسمولوجية للفكر اللغوي عند العرب**، النحو البلاغة، د،ط، 2000، عالم الكتب، القاهرة، ص:138.

فستفحل التأويل بذلك وانصرف النحاة وحتى الأصليون عن الحديث عنه على أنه أصل نحوي له دور فقال في كثير من قضايا النحو ومسائله.[1]

إنَّ ابن مضاء وجد أن التأويل تموقع خلف مظاهر التأويل فوقف مخالفا لما أجمع عليه النحاة، لأن النحاة جعلوا القواعد والأقيسة هي الجادة وأن النصوص اللغوية يجب أن تخضع لتلك الجادة. وأن ابن مضاء رأى أن النطق العربي لديه هو الجادة وما عدا ذلك فرع عنه ويجب أن يخدمه.[2]

ومن هنا نرى ابن مضاء الذي لم يتعرض للتأويل بطريقة مباشرة بل تعرض لمظاهره فقط حيث اتفق مع علماء النحاة ولكنه افترق عنهم في هذه النقطة تعرضه لمظاهر التأويل.

عرض بعض مظاهر ابن مضاد في التأويل النحوي:

الحذف: إضمار وحذف تتبادلان التعبير عما يفهم من موضوع الحذف لدى النحاة، وأخذ ابن مضاء عكس ذلك فرأى أن المضمر هو ما لابد منه والمحذوف ما قد يستغنى عنه.

وأنَّ المضمر يتعلق بالأسماء، والحذف في الأفعال، مثال "الذي ضربت زيد" إن المفعول محذوف تقديره "ضربته" والضمير اسم بلا شك، وقد عرض ابن مضاد في الحذف والإضمار تعرض في ثلاث مستويات: مناقشة الفكرة من النص اللغوي، مناقشتها في نفس الكلام المتكلم. انطبلق رأيه على النظرة إلى النص.[3]

[1] محمد عيد، **أصول النحو العربي في نظرة النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث**، ط4، 1989، دار الكتب، مكتبة لسان العرب، القاهرة، ص:169.

[2] المرجع نفسه، ص،ص:169.170.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص،ص:170.171.

ومنه نرى أن ابن مضاء عرض كثيرا من المظاهر واقتصارنا على عرض مظهر واحد وهو الحذف. وأنه استعمل اللفظين بمعنى واحد واتخذ النص اللغوي أساس لتقسيمه، فالحذف إيجاز واقتصار وأما المظاهر الأخرى التي تكلم عنها هي الاستتار، صوغ المصدر وغيرها...

إنَّ التأويل قد وجد في النحو نتيجة عاملين:

أحدها حدد وجهته والآخر سار فيه وأوغل.

الأوَّل هو أصول النحو، والثاني فهو الجهد الذهني العميق، فالسبب في جود التأويل في النحو في نظريات أصول النحو، مثل العامل والمعمول والعلة والمعلوم والقياس وقد نمى النظر العقلي وأبدع فيه حتى وصل به إلى درجة التعمية والإلغاز.[1]

أمثلة عن وجود التأويل في النحو:

قوله عز وجل:" إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ "[2]، فإنَّما جاء على زيد ضربته وهو عربي كثير وقد قرأ بعضهم **قوله تعالى"وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ"**[3]، إلاَّ أنَّ القراءة لا تخالف لأنها سنة.

وبفعل العاملين السابقين تحول هذا التأويل السابق إلى صنعه ذهنية كما يلي:

يقول الأشموني في **آية " إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ "** النصب يترجح؛ لأنه نص في عموم خلق الأشياء وخيرها وشرها بقدر وهو المقصود، وفي رفع الإبهام كون الفعل وصفا مخصصا وبقدر هو الخير ليس المقصود إبهامه وجود شيء لا يقدر لكنه غير مخلوق، فالآية التي قال

[1] ينظر: المرجع السابق، محمد عيد، **أصول النحو العربي**، ص:162.

[2] سورة القمر، الآية49.

[3] سورة فصلت، الآية16.

عنها سيبويه إنها مثل زيد ضربته قد استحالت إلى جهد عميق لضرورة وجود العامل فيترجح النصب.[1]

وخلاصة القول أنَّ التأويل تحصيل حاصل لفعل العامل والعلة والقياس وعوامل أخرى تتداخل في صناعة التأويل.

[1] المرجع السابق، محمد عيد، **أصول النحو العربي**، ص،ص:161.162.

المبحث الأول: السيرة الذاتية لابن عربي

ولد أبو بكر محمد بن علي، من قبيلة حاتم الطائي، المعروف باسم ابن عربي ، وبألقاب (محي الدين)، (الشيخ الأكبر)، (ابن أفلاطون)، في مدينة مُرسيه في 17 رمضان سنة 560هـ (28 يوليو سنة 1165م) في عهد الخلافة المستنجد في المشرق، وكان يحكم مرسيه وبلسنيه: ابن مرديش وكان أميرا مستقلا بإمارته عن سلطان الموحدين الذين تولى سلطانهم الثالث، أبو يعقوب يوسف وكان ابن عربي ينتمي إلى أسرة نبيلة، غنية وافرة التقوى.[1]

[1] أسين بلا ثيوس، **ابن عربي حياتة، مذهبه**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دط، 1965، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص:05.

أهم مؤلفاته:

ألف محي الدين ابن عربي عددا كبيرا من الكتب نحو أربعمائة كتاب ورسالة وسنذكر بعضا منها:[1]

-فصوص الحكم.

-الفتوحات المكية.

-ترجمات الأشواق.

-محاضرة الأبرار ومسامرة الأخبار (في الأدب).

-ديوان الشعر.

-مفاتيح الغيب.

-تفسير الألفاظ الصوفية.

-التعريفات.

-تفسير الشيخ الأكبر.

-شرح أسماء الله الحسنى.

-الأصول والضوابط.

-الأنوار.

-منهاج التراجم.

[1] محي الدين ابن عربي، **تنزيل ملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك**، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، د،ط، د، ت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص:05.

المبحث الثاني: دراسة ابن عربي لقضية التأويل في القرآن الكريم.

لا يزال موضوع التأويل النص الديني يحتل موضوع الصدارة والاهتمام منذ بديات النهضة في الفكر العربي، وسنتناول في هذه الدراسة المبسطة لمجمل الأفكار وأهم الدراسات التي تساعد على بيان ما تضمنه التأويل في موضوعات متفرقة.

موقف ابن عربي من التأويل القرآني:

لقد جاء في كتاب فلسفة التأويل لابن عربي وهو دراسة القرآن وتأويله "فتأويل ابن عربي للقرآن لا يترك شاردة ولا واردة بدءا من الحروف المقطعية في أوائل السور وإنهاء إلى قضية المصير الإنساني في الآخرة ثوابا وعقابا مرورا بالقصص الأنبياء ودلالتها الرمزية، وتأويل العبادات والأحكام الشرعية".[1]

ودليل على قوله: **قال الله تعالى في قصة زكريا:" أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا"**[2]

يرى محمد إبراهيم أنَّ الرمز قد يكون، إشارة وإيماء بالعينين أو الحاجبين أو الشفتين أو الفم ولم يقف الرمز عند الحس بل تعداه إلى التعبير اللغوي والأفكار والعقائد.[3]

ومنه نرى ابن عربي عول على تأويل الشريعة وقصص الأنبياء واستخدامه لأهم المصطلحات كالإشارة والرمز ووضح الفروق بين هذه المصطلحات من ناحية الرمز وقوة التأويل. ويظهر ذلك من خلال دلالتها الرمزية.

---

[1] نصر حامد أبو زيد، **فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين ابن عربي**، ط01، 1983، دار التنوير، بيروت، لبنان، ص:209.

[2] سورة آل عمران، الآية 41.

[3] محمد إبراهيم الفيومي، **الشيخ الأكبر ابن عربي "صاحب الفتوحات المكية"**، د، ط، د، ت، الدار المصرية اللبنانية، ص، ص: 53،54.

وقد ذكر كذلك أبو العلاء عفيفي في أماكن من كتبه عند منهج التأويل وتأويل القرآن عند ابن عربي، إذ قال:"فيشرح المسألة الفقهية وحكمها الشرعي كما يفعل أهل الظاهر، ثم يعقب عليه بما يسميه الإشارة ويبين أثرها في القلب"[1].

ويلخص من هذه الملاحظة الصحيحة إلى أن ابن عربي لم يكن ظاهري المذهب في العبادات بل كان من الظاهرين والباطنين.[2]

ومنه نرى أبا العلاء من منظور تأويل ابن عربي العلامة الصوفي في سيطرته للنص بتأويله الباطني المعروف. فهو يشرحها بحسب اعتقاده مع مراعاته للمستويات الفقهية.

ولقد ركز كذلك ابن عربي على الوسائل اللغوية المختلفة والتي يستخدمها في تأويل القرآن وهذه الوسائل تتفاعل كلها معا في تأويل نص قصير جدا جزء من آية، كلمة واحدة، أو حرف من حروف الكلمة كدلالات مختلفة لحرف الألف مثلا وغيرها قام بها ابن عربي للتأويل النصوص القرآنية[3]

والدليل على قول ابن عربي هو:

أنَّ للجن أربعة حروف ؛ لأن الجوانب التي الشيطان للإثبات أربعة، الأمام، الخلف، اليمين، الشمال، ويستند ابن عربي في ذلك **قوله تعالى:" ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ".**[4]

وبهذا نرى أن التأويل في فكر ابن عربي منهج واسع وعميق وأن النص القرآني له حضورًا مستمراً في فكره، واستخدامه للوسائل اللغوية موفقا وناجحا مما يزيده في تقديم الجديد التأويلي خدمة للقرآن الكريم، وتأويله النسبي من حرف أو كلمة إلى آية إلى سورة.

---

[1] نصر حامد أبو زيد، **فلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين ابن عربي**، ص:25.

[2] المرجع نفسه، ص:25.

[3] المرجع نفسه، ص:301.

[4] سورة الأعراف، الآية 17.

وعند دراستنا للتأويل عند ابن عربي نجد المستويين الظاهر والباطن وارتباطهما بتصوراته ويشير في هذا الصدد العالم جولد تسيهر في قوله:"فإذا جرى الحديث مثلا في الآية ، **قوله تعالى:"وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"**[1]، لم يبحث ابن عربي في ذلك عن معنى متأول أو مجازي، بل هو يتطلب الفهم الظاهر لحياة الشهداء كحياة زيد وعمرو، ولا يقال في الشهداء أموات لنهي الله عن ذلك، لأن الله أخذ بأبصار الخلق عن إدراك حياتهم كما أخذ بأبصارهم عن إدراك الملائكة والجن"[2]

- تأويل ابن عربي **لقوله تعالى:" وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ"**

سواء كان قتلهم بالجهاد الأصغر وبذل النفس طلبا الرضا الله أو بالجهاد الأكبر وكسر النفس وقع الهوى بالرياضة "أمواتا بل أحياء عند ربهم" بالحياة الحقيقة مجردين من كل دنس الطبائع مقترنين في حضرة القدس "يرزقون" من الأرزاق المعنوية أي المعارف والحقائق فإن للجنان مراتب معنوية صورية.[3]

ومنه جولد عقب على ابن عربي لاقتصاره في البحث عن معنى المتأول أو المجازي. واستطاع الكشف عن الوسائل التي يؤول بها ابن عربي، في حين نرى ابن عربي كان تفسيره لآية الكريمة موفق فاللفظة هي الحاوية على ما تحمله من دلالة ولم يخرج عليها فهو تطرق لتأويل الباطني عكس ما جاء به جولد.

جاء تفسير الرازي لقوله تعالى في الآية الكريمة لسورة آل عمران الآية 169: "النص يدل على أن الإنسان بعد قتله حي، والحس يدل على أن هذا الجسد بعد القتل ميت"[4]

---

[1] سورة آل عمران، الآية 169.

[2] المرجع السابق، نصر حامد أبو زيد، **فلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين ابن عربي** ، ص:27.

[3] محي الدين ابن عربي، **تفسير الشيخ الأكبر العارف بالله تعالى**، د،ط، د،ت، ص: 137.

[4] مح مد عبد الحميد محمد، **النبوة بين فخر الدين الرازي وابن عربي دراسات مقارنة**، د، ط، د، ت، دار الوفاء لدنيا، الإسكندرية، ص: 157.

ومنه نستنتج أن كلا من ابن عربي والرازي يتفقان في تأويل النص القرآني لسورة آل عمران (الآية 169) عكس ما جاء به جولد فهو يختلف عنهم، فهما يركزان على تباعد العقل واقتفاء أثر الفلاسفة وكذا تباعد الذوق عندهما. فيما ذهبا إليه من تخريج وتأويل.

وقد أقرَّ ابن عربي أن لتفسير القرآن الكريم متخصصين لخدمته والعارفين بتأويله. فأكد كلامه بقوله:"وما خلق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله المتخصصين بخدمته، العارفين به طريق الوهب الإلهي الذين منحهم أسراره في خلقه. وفهمهم معاني كتابه وإشارة خطابه، فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل **قال الله تعالى:" سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ"**[1]. يعني الآيات المنزلة في الأفاق وفي أنفسهم فكل آية منزلة لها وجهان. وجه يرونه في نفوسهم ووجه يرونه فيما خرج عنهم، فالنفس يسمى إشارة. ليأنس الفقيه صاحب الرسوم إلى ذلك. ولا يقولون إنه تفسير وذلك بجهلهم. فإن كان الله قادرا على تنصيص ما تأوله أهل الله في كتابه، ومع ذلك فما فعل بل أدرج الكلمات الإلهية التي نزلت بلسان العامة.[2]

من النص نستخلص أن ابن عربي اعتمد في تفسيره للآيات القرآنية من منطلق أن لكل آية منزلة لها وجهان، ومن هنا نرى توظيفه لتأويل الإشارة أو الرمزي، ولكن أغفل عن التأويل الظاهري الذي ينبغي أن يتأول فيه.

في حين يقول ابن عربي "كلامي على ظاهره، ومرادي منه ظاهره"[3]

لقد فسر ابن عربي القرآن برأيه بتأويلات أنكرها العلماء، وأخذ يصرف النصوص على ظواهرها على حسب ما يشاء ويعتقد، فهو يرى أنه ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن نصل إليه وقد نعجز في ذلك.

---

[1] سورة فصلت، الآية 53.

[2] محمد هادي معرفة، **التفسير والمفسرون "في توبة القشيب"**، ط02، 1426، ج2، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، إيران، ص:991.

[3] وغش بن شيب العجمي، **ابن عربي عقيدته وموقف العلماء المسلمين منه**، (من القرن السادس إلى الثالث عشر) ط01، 2011، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ص: 753.

فيقول الدكتور أبو العلاء العفيفي محللا أسلوبه التأويلي والتفسيري "كاد بمنهجه الخطير في التأويل أن يحول القرآن إلى قرآن جديد"[1]

ومنه نرى أن مذهب ابن عربي في التفسير يقوم على التأويل الباطني للنصوص القرآنية، في حين نجد أبو العلاء يرفض منهج ابن عربي لاعتماده على ظاهر الآيات القرآنية، وأنه اتخذ الآيات الكريمة أساسا لنظريته فأولها تأويلات تتفق مع هذه النظرية ويتعامل مع النص القرآني بطريقة متطرفة تتناسب مع مذهبه في وحدة الوجود بما خرج عن ذلك عن المفهوم المعتاد للقرآن الكريم، إذا هنا لا أوافق منهج ابن عربي في تأويله للقرآن لأنه كان قادرا على أن يبدل القرآن إلى قرآن جديد بتأويلاته الخطيرة.

ويذهب كذلك علاء الدين البخاري في تفسير الذي اتبعه ابن عربي الباطني "انعقد إجماع أهل العلم والاجتهاد بأن صرف النصوص عن ظواهرها إلى معان تدعيها الباطنية زندقة وإلحاد"[2]

يتبين من خلال هذا أن ابن عربي اتهم بالزندقة والكذب والإلحاد لكونه يؤول النصوص القرآنية عن ظاهرها ومنه ألف البخاري كتابه سماه فاضحة الملحدين وناصحة الموحدين، دليل على عدم قبوله تفسير ابن عربي ورفضه له.

وطبعا أن لكل مفسر أو مؤول منهجه الخاص به، فمنهج ابن عربي في التفسير كما حلله الدكتور محمد حسين الذهبي يقول:"يقوم مذهب ابن عربي في التفسير غالبا على نظرية وحدة الوجود التي يبين بها، وعلى الفيوضات والوجدانيات التي تنهل عليه من سحائب الغيب الإلهي، وتتقذف في قلبه من ناحية الإشراق الرباني"[3].

فالناحية الأولى: ناحية التأثر بمذهب وحدة الوجود، فإنا نراه في كثير من الأحيان يتعسف في التأويل، ليجعل الآية تتمشى مع هذه النظرية، ويفسر الآيات على ما تضمنه مذهبه.والناحية

[1] وغش بن شيب العجمي، **ابن عربي عقيدته وموقف العلماء المسلمين منه**، ص: 217.
[2] المرجع نفسه، :217.
[3] المرجع نفسه، ص:217.

الثانية: وهذا خاص كما قال محمد حسين بالتفسير الإشاري فعبر عن الحقيقة في تفسير القرآن بالإشارة،ثم هو لا يرى فرقا بين القرآن نفسه وبين تفسير أهل الله له من ناحية أن كلاهما حقه ثابت.[1]

أمثلة عن التفسير الباطني عند ابن عربي:

قال ابن عربي واصفا في تفسيره لسورة نوح في **قوله تعالى:"وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا"**[2]

لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو، لأنه ما عدم من البداية فيدعي إلى الغاية أدعو إلى الله فهذا عين المكر في **قوله تعالى:" عَلَىٰ بَصِيرَةٍ "**[3] فنبه أن الأمر له كله، فأجابوه مكرا كما دعاهم، فقالوا في مكرهم :**"وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا"**[4]. فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء.

لقد علق ابن تيمية على كلام ابن عربي قائلا: من أظهر الأمور كفرا وضلالا وتحريفا واتحادا وتعطيلا، فكل من فيه أدنى إيمان وعلم وفهم مقصودهم يعلم علم ضروري، أن الذي قالوه هو: من أعظم الأقوال منافاة لما جاءت به الرسل، وأن الله أمر أن نسأل أن يهدينا الصراط المستقيم في غير موضع وذم الحائر[5].

كما في **قوله تعالى:" قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ "**[6].

---

[1] وغش بن شبيب العجمي، **ابن عربي عقيدته وموقف العلماء المسلمين منه**، ص،ص: 217،218.

[2] سورة نوح، الآية 22.

[3] سورة يوسف، الآية 108.

[4] سورة نوح، الآية 23.

[5] المرجع نفسه، ص:219.

[6] سورة الأنعام، الآية71.

ومنه نجد ابن تيمية لا يوافق ما جاء به ابن عربي في تأويلاته للنصوص القرآنية ودليل على ذلك رده على ابن عربي في الآية الكريمة أن الدعاء لغير الله كفر ويضر بذلك العبد وأن الله بعث الرسل بالدعوة إليه نفسه، فهو ليس مكر بالعباد بل هدى لهم، فإن ابن عربي خالف ما جاء به الله فالدعوة لله حق واجبة على العبد.

وعند دراستنا لأهم تأويلات ابن عربي نجده يعتمد على التفسير الإشاري، وسندرج بعض النماذج من التفسير الإشاري:

في سورة الحج عند **قوله تعالى:" وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ، لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى"**[1].

نجد ابن عربي يفسر شعائر الله فيقول: شعائر الله أعلامه، وأعلامه الدلائل الموصلة إليه، وتفسير قوله ثم محلها إلى البيت العتيق فيقول قم محلها وهو بيت الإيمان عند أهل الإشارات، وليس إلا قلب المؤمن الذي وسع عظمه الله وجلاله[2]

بالرجوع إلى تفسير ابن عربي في الآية الكريمة أن البيت العتيق عند أهل الإشارات هو الإيمان وحقيقة وجود الله سبحانه وتعالى، بما فيها من منافع من الأعمال والأخلاق، في حين نرى ابن عربي اعتمد وحدة الوجود، لأن أغلب تأويلاته تحيل إلى ذلك فهو يصف الحج بما فيه من عظمة وتقوى، فهو أحد شعائر الله إذ يعتبر وسيلة للتقرب إليه.

[1] سورة الحج، الآيتين: 31-32.

[2] محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، د، ط، 2010، مج2، دار النوادر، الكويت، ص:414.

المبحث الثالث: تأويل الوسائل البلاغية عند ابن عربي (المثل – المجاز – الاستعارة)

1 – المثل:

1. يستخدم ابن عربي المثل في تأويل **قوله تعالى:" ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى"**[1].

وكذلك في تأويل الحديث القدسي{ فإن تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت من باعا} فيقول ابن عربي في هذا إنّمَا المراد تمثيل التقريب لدنو الذاكر من المذكور في مجالس النحوي والذكر وتجلى سر معية القلب، وأما الدنو في الآية الكريمة فهو دنو تجلى وكشف لأنه ذكره في قمة الإسراء بالروح، ثم دنا عن الأفق الأعلى في نعيم الرؤية وفي بيان الحق.[2]

بالرجوع إلى ما جاء به ابن عربي ومن خلال تفسير الكبير للرازي "أن الآية الكريمة تحمل ثلاثة وجوه وهي أن جبريل دنى من الرسول صلى الله عليه وسلم بعدما مد جناحه وهو الأفق عاد إلى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب النبي صلى الله عليه وسلم" [3]. نرى أنه أولج فن من فنون البلاغة العربية واستخدامه في تأويله للآيات المتشابهة والمراد به التبليغ وتقريب المعاني إلى العقول، وأراد بتأويله تجسيد حيثيات الواقع مصورا تصويرا دقيقا.

في حين نرى استخدام تأويل المثل عند المفسرين مثل ابن عباس ومجاهد وعلى ألسنة اللغويين كأبي عبيدة والفراء في تحليلهم للعبارات القرآنية.

ومِمَّا يرويه الطبري عن ابن عباس أنه لم يتقبل قراءة الآية الكريمة " **فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا** "[4]، على أساس أنها تثبت مثلا الله يمكن الإيمان به "لا تقولوا فإن آمنوا بمثل ما آمنتم

---

[1] سورة النجم، الآيتين 8-9.

[2] نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، ص388.

[3] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير**، د، ط، ج1، 2004، دار الكتب العلمية، بيروت، ص:239.

[4] سورة البقرة، الآية137.

به فقد اهتدوا فإنه ليس الله مثل ولكن قولوا:" **فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا**" فإبن عباس كان مدفوعا إلى ذلك رغبة منه في نفي أي شبيه أو مثل الله.[1]

ومن نستنتج أن ما روى عن ابن عباس عدم تقبله القراءة للآية الكريمة وتأكيده على نفي أي شبيه أو مثل الله، حيث اعتبر المثل كتابة في معناه البلاغي، على غرار ما جاء به ابن عربي حيث جعل تأويل المثل تقريبا للمعاني إلى العقول.

2 – المجاز:

ونجد كذلك ابن عربي يستخدم مصطلح المجاز في تأويلاته للقرآن الكريم في **قوله تعالى** : "**إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**"[2].

فيقول ابن عربي: أي بواسطة مظاهره الجسمانية وهي أصوات العباد وحروفهم، وإطلاق كونه سامعا لكلام الله بذلك مجازا فالمظاهر الجسمانية ليست منسوبة إلى الله تعالى لغة ولا شرعا.

ويقول نصر أبو حامد أن ابن عربي لا يؤول كلام الله على أنه مجاز على طريقة المعتزلة بل يؤول التلاوة الصادرة عن الإنسان لكلامه تعالى ونسبتها إلى الله.[3]

ومنه نرى استخدام ابن عربي لمصطلح المجاز لدلالة على التصوير لطبيعة اللغة للفهم وزيادة في المعرفة وأن المجاز في نظره لا ينسب إلى الله ؛ لأنه منزه سبحانه وتعالى، على غرار المعتزلة التي تعتمد المجاز العقلي في تصوراتها.

وكذلك **قوله تعالى:** "**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**"[4]

---

[1] نصر حامد أبو زيد، **الاتجاه العقلي في التفسير دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة**، ط03، 1996، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص:95.

[2] سورة التوبة، الآية 06.

[3] نصر أبو حامد، **فلسفة التأويل**، ص:388.

[4] سورة الطور، الآية 46.

فجاء تأويل ابن عربي للآية الكريمة نسبة العين إليه سبحانه فهي اسم لآياته المبصرة، فنسبت البصر للآيات على سبيل المجاز تحقيقا لأنتها المراد بالعين المنسوبة إليه.[1]

وقال تعالى:" قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا"[2] وعلى هذا ينزل **قوله تعالى:"وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا"** [3]، فيقول ابن عربي بآياتنا تنظر بها إلينا، وننظر بها إليك، ويؤيد أن المراد بالأعين هنا الآيات كونه علل بها للصبر لحكم ربه.[4]

ومنه نرى أن ابن عربي وظف المجاز في ربطه للآيات القرآنية لأن هذا الربط يعد ظاهرة لافتة للانتباه حيث استدل بآية للدلالة على الآية الأخرى والتي تصب في قالب واحد (العين والصبر) وهو حسب ما جاء به ابن عربي واستعمله لتحقيق الدلالة المراد فهمها للقارئ.

فهنا ابن عربي لا يؤول كلام الله تعالى على أنه مجازٌ عكس ما جاءت به فرقة المعتزلة التي ترى في تأويلها للمجاز في ظاهر الآيات القرآنية.

– ما جاءت به المعتزلة:

التدليل العقلي وانتهاء بتأويل النصوص التي يوهم ظاهرها التجسيد أو الإرجاء.[5]

– ما جاءت به الأشاعرة:

لم يختلوا مع المعتزلة فيما ذهبوا إليه من التنزيه وتأويل النصوص التي توهم مشابهة الله لخلقه، فقضية التوحيد لديهم واحدة.[6]

---

[1] المرجع نفسه، ص389.

[2] سورة الأنعام الآية 104

[3] سورة الطور، الآية 46.

[4] المرجع نفسه، ص:389.

[5] نصر جامد أبو زيد، **الاتجاه العقلي**، ص 149.

[6] المرجع نفسه، ص:149.

ومنه نرى أن المعتزلة وقفت معارضة لما جاء به ابن عربي رغم اتفاقهم في قضية التوحيد إلا أنهم يختلفون في بعض مواطن تأويل الآيات القرآنية.

3 – الاستعارة:

تعد الاستعارة من أهم الوسائل البلاغية تبليغا خاصة في القرآن الكريم لذا نجد ابن عربي يستخدم مصطلح الاستعارة في تأويلاته للنصوص القرآنية.

مثل: نسبة الأيدي إلى الله.

فابن عربي لا يؤول الأيدي بالقدرة أو النعمة فهو يرى أن نسبة الأيدي إليه استعارة لحقائق أنوار علوية.

لذا فإن ابن عربي يفرق بين نسبة اليدين إلى الله في خلق آدم في **قوله تعالى لإبليس: "يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ"**[1]، ونسبتها إليه سبحانه بصيغة الجمع في خلق الأنعام.[2]

تأويل ابن عربي:

الآية الأولى: اليدان هما استعارة لنور قدرته القائم بصفة فضله ويؤيد كلامه في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح يميل ربي ملاء سخاء لا يغيضها الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات فإنه لم يغض ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يرفع ويخفض.[3]

[1] سورة ص، الآية 75.

[2] نصر حامد أو زيد، **فلسفة التأويل**، ص: 391.

[3] المرجع نفسه، ص: 391.

ومنه يقول نصر أبو حامد في تأويل ابن عربي أن الآية أولت على ضوء الحديث، فاليدان اللتان توجهتها على خلق آدم هما يدا الفضل والعدل، والحديث الشريف يعبر عنن هاتين الآيتين بالعطاء والسخاء تعبيرا عن الفضل الإلهي.[1]

وكذلك يذهب مقاتل لكلمة "يد" ووجوهها المختلفة في القرآن ويرى أنها ثلاثة وجه اليد بعينها في قوله "**يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** "[2]

يعني بيدي الرحمن تبارك وتعالى، خلق آدم بيده التي بها قبض السموات والأرض، **وقوله تعالى"بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ"[3]، وقوله تعالى:"وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ".[4]**

يعني يفسرها تفسير حرفي اليد بعينها بمعناها الأصلي الجارحة المعروفة، ونجده يتعرض مقاتلا في آيات أخرى مثل **قوله تعالى:"وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ"[5]**، يعتبر ذلك مثلا، **وقوله تعالى:"وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ"[6]**، وهنا معنى الآيات عند مقاتل "مثل".

وبذلك يلتقي التأويل والمصطلح البلاغي فكلمة مثل لا تنير إلى اليد بقدر ما تثير إلى الصورة الكلية، صورة اليد المغلولة إلى العنق.[7]

ومنه نستنتج أن توظيف كل من ابن عربي ومقاتل لتأويل مصطلح الاستعارة، فنرى مقاتل يعبر عنها بمثل وأن ابن عربي يستخدمها بمفهوم الاستعارة واختلافهما نور إلهي ومنهم من عبر عنها بمثل لكونها تعبر عن الصرة الكلية.

---

[1] نصر حامد أو زيد، **فلسفة التأويل** ، ص: 391.

[2] سورة ص، الآية 75.

[3] سورة المائدة، الآية 66.

[4] سورة الأعراف، الآية 107.

[5] سورة المائدة، الآية 66.

[6] سورة الإسراء، الآية 29.

[7] المرجع السابق، نصر حامد أبو زيد، **الاتجاه العقلي في التفسير**، ص:150.

وخلاصة القول أن ابن عربي أدرج باب الاستعارة التي تعد وسيلة هامة وتوظيفه لها كان موفقا في تأويله للنص القرآني، وذلك للفهم والتفسير وانطلق من الحديث لمعرفة أسرار وفهم القرآن الكريم فلفظة اليد في الآية والحديث هي دلالة على ظل الشريعة وهي النور الإلهي.

إذن القول أن ابن عربي في تأويله للوسائل البلاغية وجدناه يوظف المصطلحات: الاستعارة، المثل، المجاز، ولا حظنا أنه يبعد عن استخدام مصطلح المجاز لما فيه مشابهة لله عز وجل، فكان استعماله له دلالة على حقائق وأنوار، ورفضه لفرقة المعتزلة والمتكلمين لاهتمامهم بظاهر الآيات لا بباطنها، عكسه الذي يهتم بالجانبين معا.

– التأويل بين التنزيه والتشبيه والإحكام والتشابه عند ابن عربي:

التنزيه والتشبيه في جانبهما ترتد إلى أصل وجودي في علاقة الله بالعالم فالتشبيه الذي يعبر عنه القرآن والذي يرى ابن عربي ضرورة الجمع بينه وبين التنزيه فيعبر ابن عربي بقوله:"إن الحق المنزه هو الخلق المشبه"[1]، فيشرحها العطار بقوله إن الحق المنزه يعني الصورة الإلهية التي هي مجموع الأسماء والصفات القدسية، وقوله عين الخلق المشبه[2].

مثال: **قوله تعالى:"قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ".[3]**

وقال أيضا:" سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ "[4]

وقال تعالى:"وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ"[5]

[1] نصر حامد أبو زيد، **فلسفة التأويل**، ص:271.
[2] المرجع نفسه، ص: 271.
[3] سورة يونس، الآية 101.
[4] سورة فصلت، الآية 53.
[5] سورة الذاريات، الآية 21.

فالعلاقة بين الله والعالم وإن قامت على المشابهة، فإنما مشابهة العالم لله، لا مشابهة الله لعالم، فهذه علاقة تفرض أولوية التنزيه على التشبيه.[1]

والملخص أن تأويل ابن عربي للمشابهة يقوم على أساس مشابهة العالم والإنسان معا، ومن هذا التأويل تكون كل الصفات والأسماء التي تطلق على الله في القرآن أسماء وصفات له في الحقيقة، فهو يرى أن المشابهة لا يعلمه إلى الله تعالى، ولا يعلمه أحد بعقله البشري ونظره.

أمثلة ابن عربي في التنزيه والتشبيه:

في قوله تعالى"لَيْسَ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ" [2] وتتجلى كذلك في آيات سورة الإخلاص كلها والتي تعبر في نظر ابن عربي عن نسب الرب وذلك استنادا إلى سبب نزولها وهو سؤال اليهود لمحمد صلى الله عليه وسلم وطلبهم منه أن ينسب لهم ربه، فهو يعتمد على النفي نفي المثلية عن الله تعالى.

وقوله تعالى:"هُوَ السَّمِيُع البَصِيرُ"[3] نجد ابن عربي يؤولها أنها تتضمن النفي والإثبات، إثبات صفتي السمع والبصر النفي تنزيه والإثبات تشبه.[4]

ومنه جاء قول القاضي عبد الجبار في التشبيه والتنزيه:" أن القرآن كلام الله والكلام ليس صفة من صفات الذات وإنما هو صفة من صفات الأفعال لأنه محدث على وجه مخصوص"[5].

ومنه يتبين أن كل من ابن عربي والقاضي في ثنائية التشبه والتنزيه هي دلالة لهداية البشر، وأن الله سبحانه وتعالى منزه وأنه ليس كمثله شيء.

---

[1] نصر حامد أبو زيد، **فلسفة التأويل**، ص:372.

[2] سورة الشورى، الآية 09.

[3] سورة الشورى، 09.

[4] المرجع نفسه، ص:385.

[5] المصدر السابق، نصر حامد أبو زيد، **الاتجاه العقلي في التفسير**، ص:181.

خلاصة الفصل:

ويتبين مما تقدم أن شخصية ابن عربي قد نالت اهتماما كبيرا لدى الدارسين والمؤرخين. وبما رواده ابن عربي عن نفسه من حيث أن له أهمية كبيرة، فهو من المفكرين القلائل الذين اهتموا بالتأويل القرآني (الباطني، الظاهري)، وذلك للكشف عن معاني النصوص القرآنية والبلوغ إلى مراميه، ويتجلى ذلك من التحليل والتفسير وهي دراسات توسعت مع الزمن على تدرج ملحوظ، وقد شملت هذه الدراسات في البحث في النواحي اللغوية والبلاغية والأدبية والنحوية وحتى الفقهية والكلامية تناولنا يتوسع ظاهر ملموس، فكان تأويل ابن عربي بشكل المجال والنص بالنسبة إليه. ورأينا أن ابن عربي في بعض اجتهاداته لا يعتمد التأويل الظاهري، فهو بذلك يوظف الرمز والإشارة لتحقيق ما تحمله اللفظة من دلالة باطنية.

ورأينا أن ابن عربي في كثير من تأويلاته وتفاسيره اعتمدت وحدة الوجود والتي جاءت في سائر كتبه، وكأي مفسر ومؤول له مؤيدون و معارضون منهم كما ذكرنا سالفا عند ابن تيمية وأبي العلاء والبخاري وغيرهم....

وكذلك اعتماده على الوسائل البلاغية في تأويلاته للنصوص القرآنية من مثل ومجاز واستعارة واستخدامه ثنائيات التنزيه والمشابه وغيرها.

خاتمـــة

بحمد الباري ونعمة منه وفضل ورحمة نضع قطراتنا الأخيرة بعد رحلة عبر مدخل وأربعة فصول بين تفكر وتعقل في اللغة العربية ومسألة التأويل في القرآن الكريم، وقد كانت رحلة جاهدة للارتقاء بدرجات العقل ومعراج الأفكار منه حاولنا الإلمام بمجموعة النتائج المتوصل إليها:

الهدف الذي بنيت عليه البلاغة العربية هو دراسة القرآن الكريم في التعبير ومقابلتها بأساليب البلغاء وكذلك السنة النبوية لتوضيح كلام أبلغ الخلق صلى الله عليه وسلم، ثم انتقلنا بين بلاغة الشعر والنثر في كلام العرب الأقحاح.

تميز البلاغة العربية بالذوق الفطري الذي هو المرجع الأول في الحكم على الفنون الأدبية.

البلاغة العربية كغيرها من العلوم الإسلامية لم تكن وليدة ساعة أو يوم وإنما مرت بمراحل عديدة حتى اكتمل نضجها وأصبحت علمًا مستقلا قائما بذاته له قواعده وقوانينه.

تميزت مرحلة التطور والازدهار للبلاغة العربية من مجموعة من الجهورة البلاغية: من عبد القاهر الجرجاني إلى السكاكي وغيرهم ....

أرجع البلاغيون والمفسرون إعجاز القرآن إلى لغته وبلاغته، فقضية الإعجاز القرآني عندهم تتوقف في إخبات صدق النبوة فيما ذلك إثبات إعجاز القرآن.

إلى جانب ذلك تميز الإعجاز القرآني بميزته ومفهومه عند القدماء والمحدثين وأهم المتكلمين عنه وكان منهم: النظام، الرماني، الفارسي، البقلاني، الجرجاني، الخفاجي، الأنصاري، الفندي وغيرهم...

فالقرآن معجزة في نظرهم ويستحيل الإتيان بمثله.

تناول العلماء العرب آثار الإعجاز القرآني في الدراسات البلاغية ومن بينهم مصطفى الرافعي، والجاحظ، الروماني، الخطابي حيث صنفوا كتب ورسائل في هذه الدراسة، واستنتاجاتهم على أن البلاغة العربية ولدت لخدمة القرآن والحفاظ على سلامة من اللحن بروز القضية التأويل في الفكر الإسلامي ومعناها الأصلي يتمثل في الرد والرجوع إلى الأصل والتدبر والتقدير والتفسير.

يُعد التأويل عملية جوهرية تمثل أهم مرتكز في قراءة النصوص القرآنية ، فالتأويل هو تخريج ذاتي لأنه علم لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

اختلاف العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل منهم من أرجعه لمعنى واحد ومنهم من فرق بينهم.

فالتساوي عند: الطبري، بن عاشور، وغيرهم بمعنى بيان معاني القرآن. والاختلاف عند: حرب، والسيوطي وغيرهم بمعنى بيان معاني القرآن من باب الجزم والقطع وذلك لوجود دليل يعتمد عليه المؤول والمفسر.

كان موقف ابن عربي من التأويل نسبي واعتماده على التأويل الظاهر والباطن وكذا الرمز في تأويلاته الخاصة بالقرآن الكريم وله مؤيدون ومعارضون كُثر: ابن تيمية وجولد وغيرهم....

وأخيرا بعد أن تقدمنا باليسير في هذا المجال الواسع، آملين أنْ ينال القبول ويلقى الاستحسان. وصلى اللَّهم وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

I. القرآن الكريم.

II. المصادر:

1. ابن الأثير مجد الدين، النهاية في غريب الحديث وأثر اللغة العربية، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، د،ط، د،ت، دار الإحياء الكتب العربية، القاهرة.
2. ابن حنبل، الإمام أحمد، المسند، د،ط، 1998، علم الكتب، بيروت.
3. ابن عاشور طاهر، مقدمات تفسير التحرير والتنوير، تعليق طاهر الميساوي، ط 1، 2006، المقدمة الأولى، دار التجديد كوالاكمبور.
4. ابن منظور، لسان العرب، ج4، 1997، دار صادر، بيروت.
5. أبو حامد الغزالي، المسطفى في علم الأصول، تحقيق عبد السلام عبد الشافعي،، د،ط، ج 1، 1413، دار الكتب العلمية، بيروت.
6. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، د،ط، د،ت.
7. أحمد فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، دار الفكر، 1979.
8. إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، د،ط، د، ت، دار الكتب العلمية، بيروت.
9. أسين بلا ثيوس، ابن عربي حياته، مذهبه، ترجمة عبد الرحمن بدوي، د،ط، 1965، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
10. البحراني، أصول البلاغة، ط1، 1433، تحقيق اللجنة العلمية في مؤسسة الصادق.
11. البقلاني، إعجاز القرآن، د،ط، د،ت.
12. الجاحظ، البيان والتبيين، د،ط، د،ت، ج1، مكتبة الحقاجي، القاهرة.
13. الجرجاني، الإشارة والتنبهات في علم البلاغة، ط 1، 2002، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
14. الجرجاني، التعريفات، وصع الحواشي وفهارسه محمد باسل عيون السود، ط 1، 2000، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

15. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ط 3، 2008، مؤسسة المختار، الشركة الدولية، القاهرة.

16. الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، د،ط، د،ت، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

17. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان دواردي، دار القلم، ط 4، مج1، 2009.

18. الراغب الأصفهاني، مقدمة التفسير الملحقة بكتاب تتريه القرآن عن المطاعن، ط 4، 1329، القاهرة.

19. الروماني والخطابي، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ط2، 1115، دار المعارف، مصر.

20. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق، عبد الرحمن المرعشلي، ط 1، ج2، 1990، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

21. السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق أحمد قاسم، ط 8، 2008، أدب الحورة، إيران.

22. الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن التأويل، تحقيق عبد الله بن المحسن التعاون، د،ط، د،ت، ج1، مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية، دار هجر.

23. علي السبكي، جمع الجوامع في أصول الفقه، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط 2، 1424، دار الكتب العلمية، بيروت.

24. عمر وابن حاجب الملكي، شرح مختصر المنتهي الأصولي، شرحه عبد الرحمن الايجي، تحقيق محمد حسن إسماعيل، ط1، 2004، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

25. القاضي ابن عربي الإشبيلي، قانون التأويل، تحقيق محمد سليماني، ط 1، 1982، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

26. القيرو آبادي، قاموس المحيط، تحقيق أحمد حسن الزيات، د،ط، د،ت.
27. محمد التوينجي، المعجم المفصل في الأدب، الفهارس، المفصلة في نهاية الجزء الثاني، ط 2، 1999، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
28. محي الدين ابن عربي، تفسير الشيخ الأكبر العارف بالله تعالى، د،ط، د،ت.
29. محي الدين ابن عربي، تنزيل ملاك في عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك، تحقيق عبد الوارث محمد علي، د،ط، د،ت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

III. المراجع:

1. ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، د،ط، ج1، 1404، المكتب الإسلامي، بيروت.
2. ابن عبد اللطيف الأنصاري، رسائل في العقيدة، د،ط، 1418، سلسلة الرسائل الأنصارية مكتبة الفرقان.
3. أبو المكارم، أصول التفكير النحوي، ط1، 2006، دار غريب، القاهرة.
4. أحمد المصري، المدخل لدراسة البلاغة العربية، ط1، 2007، دار الوفاء لدنيا.
5. أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، د،ط، 2005، نهضة مصر، القاهرة.
6. أحمد بن تيمية، مجموع فتاوى، تحقيق، محمد بن قاسم، مج13، المملكة العربية السعودية.
7. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الإكليل في المشابهة والتأويل.
8. أحمد حسن الزيات، الدفاع عن البلاغة، ط2، 1927، دار عالم الكتب، القاهرة.
9. أحمد عبد الغفار، التأويل الصحيح للنص الديني، د،ط، د،ت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
10. أحمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، ط1، 1994.
11. أحمد مطلوب، أساليب بلاغية الفصاحة البلاغة المعاني، ط 1، 1979-1980، وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، دار القلم، الكويت.
12. أحمد يوسف علي، البلاغة العربية، د،ط، د،ت، جامعة الزقازيق، القاهرة.
13. بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ط1، دار المنار، 1975، الرياض.

14. تمام حسان، الأصول دراسة استمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو، البلاغة، د،ط، 2000، عالم الكتب القاهرة.

15. جبران مسعود، معجم ألف بائي في اللغة والإعلام، الرائد، ط 3، 2005، دار العالم، بيروت، لبنان.

16. جميل طلبي، المعجم الفلسفي، الألفاظ العربية والفرنسية ولانجليزية واللاتينية، د،ط، ج 1، 1994، الشركو الوطنية للكتاب، بيروت، لبنان.

17. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د،ط، د،ت، الهيئة المصرية.

18. الخليفة الحسن، مناهج الأصولين، ط1، مج1، 1989، مكتبة وهبة، القاهرة.

19. رابح دوب، البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط3، 1999، دار الفجر، القاهرة.

20. الزحيلي وهبة، أصول الفقه الإسلامي، ط2، ج1، 1998، دار الفكر، بيروت.

21. سعد سليمان حمودة، دروس في البلاغة العربية، د،ط، 1999، دار المعرفة الجامعية.

22. السيد أحمد عبد الغفار، التأويل الصحيح للنص الديني، د،ط، 2003، دار المعرفة، الإسكندرية.

23. السيد كمال الحيدري، تأويل القرآن الفطرية والمعطيات، ط3، 2006، دار فراقد إيران.

24. شوقي ضيف، البلاغة العربية تطور وتاريخ، ط9، 1119، دار المعارف، القاهرة.

25. صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ط1، 2000، دار عمار.

26. صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير والتأويل في القرآن، ط 1، 1992، دار النفاس، الأردن.

27. صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط 1، 2002، دار القلم، دمشق.

28. الصوفي، الإكسير في علم التفسير، تحقيق عبد القاهر حسين، ط2، 1989، دار الأوزاعي.
29. عبد الجواد الصاوي، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منهج التدريس الجامعي، ط 1، 2008، دار حياد، جدة.
30. عبد الراجحي، اللهجات العربية في القرآن، ط1، 2008، دار المسيرة.
31. عبد الرحمن بن حنيكة الميراني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ط 1، 1997، ج1، دار القلم، دمشق.
32. عبد الرحمن بن يحي المعلمي، رسالة في حقيقة التأويل، تحقيق جرير بن مالك، ط 1، 2005، الأطلس الخضراء.
33. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطورها، ط 1، 1978، دار الطباعة المحمدية، الأزهر، القاهرة.
34. عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، ط2، 2000، دار غريب، القاهرة.
35. عبد الكريم الخطب، إعجاز القرآن الإجازة في دراسات السابقين دراسة كاشفة الخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، ط1، 1984، دار الفكر العربي.
36. عبد الله جذر حمد، التصوف والتأويل، د،ط، د،ت، دار النشر الأكاديميون، العراق، أربيل.
37. عبد الله عبد العزيز المصلح، الإعجاز العلمي في القرآن، د،ط، د،ت.
38. عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالمية علم المعاني، ط3، 1991، مكتبة الآداب الجماهير.
39. علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، ط 1، 2002، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
40. علي حرب، الممنوع والمصنع نقد الذات المفكرة، ط 1، 1995، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت.
41. علي مشري زايد، البلاغة العربية تاريخها، مصادرها مناهجها، د،ط، 1982، دار العلوم، القاهرة.

42. علي مهدي زيتون، الإعجاز القرآني وآلية التفكير النقدي عند العرب وبحوث أخرى، ط 1، 2011، دار الغاربي، بيروت، لبنان.

43. عمار ناصر، اللغة والتأويل، مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ط 1، 2007، دار الفلوابي، بيروت، لبنان.

44. فخر الدين الرازي، أساس التقديس في علم الكلام، د،ط، 1328، القاهرة.

45. فضل حسن عباس، عجاز القرآن، منشورات القدس المفتوحة، ط2، 1997.

46. كمال الحيدري، تأويل القرآن النظرية والمعطيات، ط2، 2006، دار فراقد، إيران.

47. محمد إبراهيم الفيومي، الشيخ الأكبر صاحب الفتوحات المكية، د،ط، د،ت، الدار المصرية البنانية.

48. محمد بركات، كيف نقرأ تراثنا البلاغي، ط1، 1999، دار وائل، الأردن، عمان.

49. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، د،ط، 2010، مج2، دار النوادر، الكويت.

50. محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ط 1، 2002، الشركة الوطنية للطباعة الدولية.

51. محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، ط2، 1938، دار النشر الأطلسي، الرباط.

52. محمد رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، ط 1، 2008، دار رفع المساهم.

53. محمد سعد رمضان السيوطي، من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله، ط 2، 1970، مطبعة الفرابي، دمشق.

54. محمد عبد الحميد محمد، النبوة بين فخر الدين الرازي وابن عربي، دراسة مقاربة، د،ط، د،ت، دار الوفاء لدنيا، الإسكندرية.

55. محمد عبد المطلب، البلاغة قراءة أخرى، ط 1، 1997، مكتبة لبنان ناشرون، لونجمان، بيروت، لبنان.

56. محمد عبد المنعم خفاجي، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، ط 1، 1992، دار الجبل، بيروت.

57. محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ط3، 1288، دار مسان.

58. محمد عمر، الفكر النحوي في توجيه القراءات القرآنية حتى القرن 4هـ، ط1، 2017، دار الخلدونية.

59. محمد عيد، أصول النحو العربي، في نظر النحاة وأرى مضاء وضوء علم اللغة والحديث، ط4، 1989، دار الكتب مكتبة لسان العرب، القاهرة.

60. محمد كريم الكراز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ط 1، 1426، دار الكتب الوطنية، بنغازي.

61. محمد مشبال، البلاغة والخطاب، 2014، دار الأمان.

62. محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ط 2، 1426، ج2، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، إيران.

63. محمود السيد شيخوان، الإعجاز في نظم القرآن، ط 1، 1938، مكتبة كلية الأزهرية، القاهرة.

64. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط1، 2000، دار الكتب العلمية، بيروت.

65. مصطفى صادق الرافعي، تحت القرآن، ط1، 1983، دار الكتاب العربية، لبنان، بيروت.

66. مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ط2، 1992، دار المسلم ، الرياض.

67. مصطفى ناصف، نظرية التأويل، ط1، 2000، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية.

68. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، د،ط، 1985. مؤسسة الرسالة.

69. ناصيف اليازجي، دليل الطالب إلى علوم البلاغة والعروض، ط 1، 1999، مكتبة لبنان، بيروت.

70. نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن الكريم عند المعتزلة، ط3، 1996، المركز الثقافي العربي، بيروت.

71. نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين ابن عربي، ط 1، 1983، دار التنوير، بيروت، لبنان.

72. نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصر الحاضر،ط 2، 1980، مؤسسة الرسالة، بيروت.

73. يحي بن حمزة بن علوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم الحقائق الإعجاز، د،ط، 1333، ج1، دار الكتب الخديونية.

IV. المجلات والرسائل:

1. عبد الرحمن حللي، دكتوراه في العلوم الإسلامية، التفسير والتأويل في علوم القرآن، دراسة في المفهوم.

2. عبد الفتاح أحمد الحموز، التأويل النحوي في القرآن الكريم، رسالة الدكتوراه، د،ط، 1981.

3. علي بن محمد الشهري، التأويل النحوي وأثره في توجيه المعنى، تفسير فخر الدين الرازي، رسالة الدكتوراه في اللغة العربية، إشراف حمدان الغامدي، 1426.

4. عمر ياسين طه الملاح، مجلد كلية العلوم الإسلامية، العدد13، 2013، مج7.

5. كمال فاتح، أثر الدلالة اللغوية في التأويل عند المفسرين، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد3، 2009، مج5.

6. مبروك زيد الخير، اللغة العربية وآثرها في استنباط الأحكام الشرعية، مجلة المقاصد والدراسات القرآنية، ط1، 2015، دار الكفاية، وهران.

7. محمد عبد القادر هناوي، ظاهرة التأويل في إعراب القرآن، رسالة الماجستير، إشراف أحمد الأنصاري، 1981.

8. محمد غريب الزبيدي، التأويل البعيد والقريب وأثرهما في الحكم الأصولي، مجلة أبحاث التربية الأساسية، العدد الرابع، 2011، مج10، كلية التربية، الموصل.

9. نعمان علوان شعبان، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، مقدمة في الإعجاز القرآني، العدد1، مج18.

فهرست المحتويات

بسملة.

كلمة شكر وعرفان.

إهداء.

مقدمـة.....أ–ج

مدخـل.....05

الفصل الأول: إرهاصات البلاغة العربية

تمهيد.....15

المبحث الأول: البلاغة العربية.....16

المبحث الثاني: نشأتها.....30

المبحث الثالث: تطورها.....37

الفصل الثاني: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في دراسات البلاغة

تمهيد.....43

المبحث الأول: الإعجاز القرآني (المعجزة، الإعجاز، مجاز القرآن)..... ...44

المبحث الثاني: مظاهر الإعجاز.....55

المبحث الثالث: آثار الإعجاز في الدراسات البلاغية.....61

الفصل الثالث: التأويل في النص القرآني الكريم

المبحث الأول: ماهية التأويل.....71

المبحث الثاني: أقسام التأويل.....78

المبحث الثالث: أشكال التأويل.....82

المبحث الرابع: الفرق بين التفسير والتأويل.....87

المبحث الخامس: التأويل اللغوي.....92

الفصل الرابع: موقف ابن عربي من التأويل القرآني نموذجا

المبحث الأول: السيرة الذاتية لابن عربي.....100

المبحث الثاني: دراسة ابن عربي لقضية التأويل في القرآن الكريم.....102

المبحث الثالث: تأويل الوسائل البلاغية عند ابن عربي (المثل – المجاز – الاستعارة).....109

خاتمـــة.....118

قائمة المصادر والمراجع.

فهرست المحتويات.